محاضرات ومقالات

أعدها

عبد الله بن محمد بن زاحم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف
ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين أما بعد:

فهذه محاضرات ومقالات أعدها فضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم أمام وخطيب المسجد النبوي الشريف ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة، وجدناها محفوظة في ملفات الشيخ رحمه الله تعالى.

قام أحد طلبة العلم بترقيم الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية.

محمد بن عبدالله الزاحم

التفكر في ملكوت السموات والأرض

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فيقول الله جلَّ شأنه:((قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ))[1]

إذا سمع الناس بمتحفٍ يُعرض فيه أنواع من الصناعات وبقايا من الآثار التي لها بضعة قرون، تراهم يسارعون إليه للاستطلاع والاعتبار، فإذا رأوا صُنعاً متقناً أو صنعاً جميلاً لطيفاً أو أثراً قديماً أخذتهم الدهشة والإعجاب فيأخذون في الثناء على صانعها ويُكْبرونه ويعظمونه؛ لمقدرته ومهارته وقوة صنعته، ويتشوقون لرؤيته، ولكنهم في الوقت نفسه يغفلون عن أعظم متحفٍ فيه أنواع من الصناعات وأشكال من الموجودات فيه من الآثار القديمة التي يزيد تاريخ صنعتها على آلاف القرون، فيه من المشاهد ما يدهش الإنسان ويذهل العقول، فيه ما يسرّ الناظرين ويعجب المشتاقين وأبوابه مفتوحة، ومالكه يدعو الناس لمشاهدته والانتفاع به، لا يحتاج إلى بطاقات وليس عليه موانع، أمر عظيم عجيب، أشياء تُعرض في الليل، وأشياء تعرض في النهار. فتعال أيها المسلم تعال أيها الإنسان لننظر إليه ونتجول في أرجائه فسنجد كلّ ما يطلبه الإنسان وكل ما يحتاج إليه، والأرض هذه الأرض نعيش عليها وما فيها من بحار

---

(١) سورة يونس آية:١٠١.

وأنهار وجبال وأودية وسهول ورمال، وأشجار وما يحصل فيها من حبوب وثمار مختلفة، ألوانها وأحجامها وطعمها مع أنها تُسقى بماء واحد وتنبت في مكان واحد، وما أودع الله فيها من كنوز الذَّهب والفِضَّة والألماس والياقوت والمعادن على اختلاف طبائعها وتفاوت منافعها ومضارها، كلها قد أخرجها الإنسان واستخدمها في البناء والتطوير وفي الهدم والتدمير ((إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ))[1]، ثم انظر أيها الإنسان ما على الأرض من الأناسي والحيوانات والحشرات ((فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[2] منها أنيس ومنها متوحش، ومنها طيب ومنها خبيث، ومنها مباح أكله ومنها محرَّم، فيها عدو للإنسان وفيها صديق، ثم انظر أيها الإنسان في نفسك؛ فأنت مَعْرَض متكامل لصنع الله وآية عظيمة من آيات الله ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ))[3]((وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ))[4]

انظر في نفسك أيها الإنسان، وتأمل في ذاتك تأمل الأجهزة العاملة في جسمك أوتوماتيكياً، لا تطلب منك عناءً ولا جهداً، انظر إلى حركات الأعضاء الاختيارية وغير الاختيارية، تأمل في أصلك تراب ثم ماء وطين ثم دم

---

(١) سورة طه آية:٥٤.
(٢) سورة النور آية:٤٥.
(٣) سورة فصلت آية:٥٣.
(٤) سورة الذاريات آية:٢٠-٢١.

نجس ثم قطعة لحم، ثم جنيناً ثم طفلاً وبشراً سوياً، ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً، ومنكم من يتوفى من قبل ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً، مثلك يا ابن آدم كمثل النبات، سواءً بسواءٍ، يبدأ ضعيفاً ثم يقوى ويثمر ثم يعود هشيماً تذروه الرياح، ثم إذا شاء الله نبت مرَّة أخرى، كذلك النشور والبعث من القبور ((قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)) (١).

انظر أيها الإنسان في موجودات البحار من حيوانات على اختلاف أشكالها وألوانها وأحجامها، فمنها ما يعيش في الماء ولو خرجت لماتت كما أن الحيوانات البرية لو وقعت في الماء لغرقت، ومنها ما يعيش في البحر والبر، فسبحان الله خالق كلّ شيء ومتقنه ((وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا)) (٢)،((يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ)) (٣)،((أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)) (٤)، ثم انظر أيها الإنسان إلى السماء وما فيها من الأفلاك والكواكب لها ملايين السنين وهي مخلوقة تسير بانتظام ولم تتغير ولم تتأثر مع

---

(١) سورة يس آية:٧٩.
(٢) سورة النحل آية:١٤.
(٣) سورة الرحمن آية:٢٢.
(٤) سورة الغاشية آية:١٧-٢٠.

طول الزمن واستمرار الحركة، هذه الشمس النيرة وما فيها من المنافع والمصالح للإنسان والحيوان والنبات، وهذا القمر يبدأ صغيراً ثم يكبر شيئاً فشيئاً يوماً بعد يوم حتى يبدو بدراً ثم يعود في النقص حتى يختفي، وانبساط تلك الأفلاك وتأثيرها بإذن الله في بعض الحركات في الأرض فالبحر يمد ويجزر تبعاً لزيادة القمر ونقصانه، وتأثير القمر والشمس في إنضاج الثمار والحبوب وما فيها من منافع لمعرفة الأيام والشهور والسنين ((إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)) (١)

ثم انظروا إلى السحاب المسخَّر بين السماء والأرض كيف يتكون بمشيئة الله وقدرته ثم يتراكم كالجبال، وإن شاء الله أمطر على هذا البلد، وإن شاء أرسله إلى غيره، وإن شاء الله أمسكه، وهذا الرعد القاصف والبرق الخاطف ((هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ)) (٢)

انظر أيها الإنسان إلى الطائر يحلّق في جو السماء سواء كان حيواناً أو صناعياً، ما يمسكهن إلاَّ الرَّحمن بقدرته وإرادته، ولو أمسك عنها الطبقة الهوائية لسقطت، ولو شاء الله أمرها فهوت.

فيا أيها الإنسان أيها المسلم تفكر في خلق السموات والأرض، وما تراه من مخلوقات الله، وتأمل فيها؛ فبذلك تحيا القلوب وبه تستنير البصائر وتعرف الحق

---

(١) سورة النحل آية:١٢.
(٢) سورة الرعد آية:١٢-١٣.

من الباطل، وتعترف بالحق الواجب عليها لله تعالى.

اللهمَّ نور قلوبنا بالإيمان وافتح بصائرنا للتفكر في مخلوقاتك، وانفعنا بما وهبتنا من عقول ومدارك وأحينا مسلمين وتوفنا مسلمين غير خزايا ولا مفتونين. وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمداً وعلى آله وصحبه وسلّم، والسلام ورحمة الله وبركاته.

الناس فريقان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فيقول الخالق تبارك وتعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))[1] الإنسان أعطي عقلاً وفهماً يميز بهما بين الطيّب والخبيث، وبين النافع والضار، وأعطي حرية الاختيار فبرغبته يختار وبإرادته يميز، والزمن الذي يعيش فيه الإنسان إمَّا ليل أو نهار، والطريق الذي يسير عليه؛ إمَّا مستقيم الاتجاه أو منحرف، والسلوك الذي يسلكه إمَّا طيب أو خبيث، وقد بعث الله رُسله يهْدون عباده ويدلونهم على الطريق المستقيم النير، ويوجهونهم إلى عمل الخير، ويصفون لهم طريق الإيمان، ويرغبونهم فيه، ويحذرونهم عما سواه، وكل طريق كفر وضلال.

فكل إنسان يختار بقدرته ورغبته الطريق الذي يسلكه، وكل إنسان يسير على الاتجاه الذي يوافق رغبته وميوله.

وكل شيء بعِلم الله واطلاعه وإرادته.

فليس أمام الإنسان إلاَّ قاعدتان: قاعدة الخير أو قاعدة الشرّ، طريق النجاة، أو طريق الهلاك، سبيل المؤمنين، أو غير المؤمنين، وإذا أراد الإنسان

---

(١) سورة التغابن آية:٢.

أن يطبّق الجزئيات على قواعدها، فلينظر إلى الأقوال والأفعال فإنها تعبر عن سريرة المرء واتجاهه.

وقد يحاول المنافق إخفاء سريرته؛ لأي مقصد دنيوي فيُظهر الإسلام ويبطن الكفر، ولكنه لم يخرج بنفاقه عن طريق الكافرين، بل النفاق من أشد أبواب الكفر.

((الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ))[1]

هذا فريق، وهذه صفتهم، وهذه عاقبتهم.

أمَّا الفريق الآخر، فهو قوله تعالى: ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))

---

(١) سورة التوبة آية:٦٧-٦٨.

[1]فريقان متغايران متباعدان؛ ((فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ)) [2] لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجَنَّة أصحاب الجَنَّة هم الفائزون.

وإذا تأملنا جميع العالم بكامل قواه وعقلياته، وبجميع أهدافه وغاياته وجدناه لا يخرج عن إحدى القاعدتين، ولا عن أحد الفريقين والله سبحانه بإرادته الشرعية يريد أن يكون جميع خلقه من أصحاب الجَنَّة ويريد لهم السعادة والكرامة والنجاة، فبعث إليهم الرّسل وأنزل إليهم الكتب، ولكن الشياطين تضلهم وتصدهم عن رسالة السماء وتؤزهم أزاً، فالمعركة قائمة بين بني آدم وبين إبليس وجنوده، لا تنفك أبداً حتى تقوم الساعة، فمِن بني آدم من هو مجاهد مكافح متبصر منتصر، ومنهم من هو مستسلم مهزوم.

وواجب المنتصرين في المعركة أن يساعدوا المغلوبين، يساعدونهم على عدوهم المبين، إنَّ المعركة لا تحتاج إلى صواريخ وطائرات ودبابات وقوة نووية، إنما تحتاج إلى إيصال رسالة السماء وهدي محمد صلى الله عليه وسلم إلى أسماع هؤلاء كما وردت نقية صافية بصورة يظهر فيها جمالها وبهاؤها ويسطع نورها.

---

(١) سورة التوبة آية: ٧١-٧٢.

(٢) سورة الشورى آية:٧.

وإن أعظم دعوة للإســـلام؛ الدعوة إليه بالعمل مع القول الصـــدق في المعاملات، في الأحكام، في السلوك، إظهار محاسن الإسلام على حقيقتها، تعاطف وتراحم وتآخي.

وهل تظنون أنَّ إبليس وجنوده من الجن والإنس سـيفسـحون الطريق أمام الدعوة؟، لا بل ســيقفون أمامها وســيســدون الطرق في وجهها بكل ما استطاعوا، ولكن واجب المسلم الصبر والجهاد والكفاح.

والمســؤولية لا تقع على الســلطات الرسمية وحدها، وإنما تقع على المجموعة، فالأمانة محملة على الجميع، والإســلام عقيدة الجميع، والمصــالح تعود على الجميع، والمضــار مثل ذلك ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْــتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ))[1]

فإذا كان صــفوة الخلق رســول الله صــلى الله عليه وســلم وجد معاندين ومكابرين للدعوة يقفون ضــدها، ويعرقلون مســيرتها مع أن الوحي ينزل، وجبريل يؤيده وجنود الله تنصــره، ومع ذلك مكث ثلاثة عشــر عاماً يدعو ويبشــر وينذر ويكافح فلم يســتجب له إلاَّ القليل، ولله في ذلك حِكم

(١) سورة آل عمران آية:١٨٧.

وأسرار، يريد أن الدعوة تشق طريقها النظامي الكوني بالحجة والإقناع؛ وأن يكون القبول لها بالاختيار والاقتناع؛ لتكون أمكن في القلب وأثبت، ولتكون المحبة لها والجهاد كله في سبيلها مبني على الإخلاص والاحتساب، ولايتها في يد حكومة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر، وتؤمن بالثواب والعقاب، تخاف من الله وترجوه إذا قيل لها اتق الله؛ تذكرت عظمته وقدرته، فتقيم العدل بين الرعية وتحكم بينهم بحكم الله فيحصل التعاون على البر والتقوى، ويحصل الأمن والاستقرار، ويحصل الرخاء والخيرات والبركات ((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) (١)

إنَّ المسلم منهجُه واحد هو المنهج الموصل إلى الله، فيجب عليه أن يعمل

(١) سورة البقرة آية:٢٠٤-٢٠٩.

بجميع شرائع الإسلام، لا يجوز له أن يأخذ بعضها ويترك بعضها الآخر.

فإذا أقام الصلاة فليؤتي الزكاة، وإذا صام رمضان فليؤد فريضة الحجّ إلى بيت الله الحرام، وقد فُرض في العمر مرَّة واحدة، وإذا أخذ بقول الله ((وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ)) فليأخذ بقوله ((وَحَرَّمَ الرِّبَا))، وإذا أخذ بقوله: ((فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ)) فليأخذ بقوله:((وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا)) وإذا أخذ بقوله:((وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ)) فليأخذ بقوله: ((وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)) وإذا آمن بالقرآن فليؤمن بقوله تعالى:((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)) إلى غير ذلك من نصوص الأمر والنهي، والإباحة والتحريم، ليس أمام المسلم طرق متعددة يختار منها ما يشاء، أو يخلط بعضها ببعض، أو يسلك هذا زمناً ثم يتركه ويسلك آخر.

ولا أن يتأرجح بين الطريقين: ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا))[1]

نسأل الله أن يعزّ الإسلام والمسلمين، وأن ينصر دينه وأن يعلي كلمته، إنه على كلّ شيء قدير.

---

(١) سورة النساء آية:١٥٠.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛؛

الارتباط بالله وحده

إلى إخواني المسلمين في كلّ مكان:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فقد اطلعت على نسخ من الأوراق التي توزّع المشتملة على قصة مزعومة، بأن فتاة عمرها (١٢) سنة كانت مريضة مرضاً شديداً أعيا الأطباء علاجها، وفي ذات ليلة اشتد المرض عليها وبكت المسكينة حتى غلبها النوم ورأت وهي نائمة في منامها السيدة زينب أنها وضعت في فمها قطران، وبعد أن استيقظت من النوم وجدت نفسها قد شفيت من مرضها تماماً، وطلبت منها السيدة زينب: أن تكتب هذه الرواية (١٢) مرَّة وتقوم بتوزيعها على المسلمين والمسلمات لينظروا إلى قدرة الله سبحانه وتعالى، وأن الورقة الأولى وقعت في يد فقير فكتبها ووزعها على الناس، وبعد مضى أيام قليلة شاء الله أن يغتني هذا الفقير، والنسخة الثانية وقعت في يد عامل أهمل كتابتها وبعد مضي اثني عشر يوماً (١٢) فقد كلّ ما يملك من الثروة، ثم دعا زاعم القصة إخوانه المسلمين إلى كتابتها (١٢) نسخة وتوزيعها على الناس لينال كلٌّ ما يتمناه بإرادة الله، أ.هـ.

وأنبه إخواني من المسلمين والمسلمات أن هذه القصة يردّ آخرها على

أولها ويبيّن أنها قصة مختلقة لا أصل لها، ولعل المراد من اختلاق هذه وأمثالها اختبار عقول المسلمين، وفحص إيمانهم وهل لديهم عقول واعية تدرك الحقائق وتعرف دينها وقواعده وتعرف الدسائس والخرافات والدجل والترهات؟، وهل لديهم إيمان قوي بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، أم أنهم أصبحوا كلهم رعاعاً مع كلّ صاعق وناعق، ولمناقشة القصة المزعومة وأخذ الرد عليها من بعضها، أقول:

من هي السيدة زينب هذه رحمها الله؟، أهي بنت علي رضي الله عنهما أخت الحسين، فقد ذكر نصر الدين الزركلي أن زينب بنت علي رضي الله عنهما كانت مع أخيها الحسين حينما قتل ونقلت إلى الشام ولم يذكر في كتب التاريخ أنها جاءت إلى مصر لا في الحياة ولا بعد الممات، وذكر في الإصابة بأن زينب بنت علي رضي الله عنهما ولدت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفيت سنة ٦٢هـ، وأنها كانت مع أخيها الحسين، ثم نقلت إلى دمشق مع أختيها فاطمة وسكينة رضي الله عنهم.

أم أن السيدة زينب المعروف قبرها في القاهرة هي زينب بنت يحيى بن زيد بن الحسين رضي الله عنه ورحمة الله من بعده، فقد ذكر خير الدين الزركلي في الأعلام أنها توفيت سُنَّة ٢٤٠هـ، بعض الناس يرى أن هذا الضريح أنشأه العامة الجهال؛ وإنما الدولة الفاطمية هي التي أنشأت هذا الضريح وعظمته وجعلت

عليه قبة وحثَّت الناس على تقديسه كسائر الأضرحة الموجودة هناك لتعليق قلوب المؤمنين بغير الله، فالله حسبنا وحسب كلّ مؤمن وهو نعم الوكيل.

وعلى كلّ حال تأمل أخي المسلم هذه القصة المزعومة ليظهر لك كذبها فلا يخفى على من له عقل فطن ونظر في قواعد الشريعة لا يخفى عليه أن ذلك كذب من وحي الشيطان لما يأتي:

أولاً: من المعلوم من الشرع والعقل والعُرف بأن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، كما قال ذلك صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: {إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له}(١).

وأمَّا العُرف: فمن أول الدنيا إلى الآن ما عرف حقاً أن ميتاً نفع أحداً من الخلق، وما يقال عن الأموات واتصالهم بالأحياء فإنما هي أوهام دعاة القبور الذين يتعلقون بغير الله لإيهام العامة وتضليلهم والسيطرة عليهم.

ثانياً: قارن بين عمر الفتاة المزعومة وعدد النسخ المطلوبة وعدد الأيام المزعومة لتعلم أنا رواية مفتعلة مكذوبة.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٦٣١).

ثالثاً: المعروف أن القطران مادة سامة لا يؤخذ عن طريق الفم، وإنما يُطلى به الجرب الذي يصيب الحيوان ويطهِّر بها بعض الجروح وهي في يوم القيامة من أنواع العذاب، قال تعالى: ((سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ))[1].

رابعاً: قد وصلت هذه القصة المزعومة إلى أناس مزقوها وردوا عليها ولم يزدادوا إلاَّ القوة والتوفيق والخير الكثير، ووصلت إلى آخرين سذج مخدوعين ووزعوها فلم يصبهم خير بل حصل لهم ضعف اليقين، وتصديق الكذابين والتعلُّق بغير الله.

فيا أخي المسلم: أنت في زمن قلَّ فيه الوازع والرادع فسترى من أعدائك وأعداء عقيدتك ومن دعاة الضلال اختلافاً كثيراً فعليك بكتاب الله وسنة نبيك وسنة الخلفاء الراشدين وسلف الأمَّة وكن ثابت الإيمان قوي الشكيمة ذكياً فطناً ولا يُلدغ مؤمن من جحرٍ مرتين.

وصلَّى الله وسلّم على البشير النذير وعلى آله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛؛

---

(١) سورة إبراهيم آية: ٥٠.

الدين الاسلامي دين شامل لكل أوجه الحياة

تحت رعاية فضيلة الشيخ عبد الله بن زاحم إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف ونائب رئيس المحاكم الشرعية بالمدينة المنورة[١].

أقام مركز جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الصيفي الحفل الختامي لأنشطته للعام الدراسي ١٤٠٩- ١٤١٠هـ بالمدينة المنورة [٢]

وبعد ان استمع فضيلته وشاهد وقائع الحفل الكبير.

ألقى فضيلة الشيخ كلمة توجيهية للشباب تحت عنوان: الدين الإسلامي دين شامل لكل أوجه الحياة.

قال فيها: أشكر لأخي فضيلة الشيخ حميد بن ابراهيم الحازمي مدير المعهد العلمي في المدينة المنورة ورئيس المركز الصيفي الذي نحتفل باختتامه اليوم.

---

(١) نقل محي الدين شرشر بعبارة ضافية ما حصل في هذا الحفل. وكان هذا في صحيفة المدينة بتاريخ ١٤١٠/٢/٨هـ

(٢) وتحدث الشيخ عبدالله في نهاية الحفل والتكريم للشباب المشاركين في المركز الصيفي

أشكره على دعوته لي للمشاركة وللاستماع، ما سمعنا ورأينا من نشاطات هي ثمار جيدة أنتجها المركز الصيفي للمعهد العلمي في المدينة المنورة.

وقد أثبتت التجارب وأثبت الواقع الثمار الطيبة التي أنتجتها المراكز الصيفية حيث يجتمع فيها الطلاب بآبائهم وإخوانهم الأساتذة والمربين والموجهين فتجتمع فيها العقول الناشئة بالعقول التي عندها تجارب ومران وخبرة فيكتسب الناشيء الخبرة منهم؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان ثم أخرجه من بطن أمه: ((وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[1].

ويكتسب بعد ذلك من الخبرات العلمية والعملية والاقتصادية واللغوية وجميع أنواع النشاطات من عقلية وتربوية، ولمسنا في هذا الحفل من كلمات وتوجيهات وتمثيليات دينية التي تحرك مشاعر الاسلام في نفوس المسلمين حيث رأينا هذه التمثيليات التي تنبيء وتفصح عن حالة المسلمين وواقعهم وما يواجهه المسلمون الآن في بعض البلاد من واقع مؤلم ومحزن.

هذه المؤامرات التي تدبر الآن للإسلام وضد المسلمين؛ ليس هذا بجديد ولكن كان المسلمون عنه غافلين، لا يعرفون شيئا من واقعهم، لكن لما وجدت

---

(١) سورة النحل آية:٧٨.

الصحوة الاسلامية في الشباب وفي المربين وفتحوا أعينهم على الوجود وعرفوا الطيب من الخبيث، وعرفوا الصديق من العدو؛ أخذوا يدركون هذا وهذا.

وعندما أصبحت الدول الاسلامية في العهد السيء عهد الاستعمار البريطاني والفرنسي والطلياني وغيرهم، وجعلوا البلاد الاسلامية مستعمرات يتحكّمون فيها ويغيرون فيها الأفكار.

ولكن الصحوة الاسلامية التي يعيشها العالم الاسلامي في عصرنا الحاضر صحوة تبشر بالخير. أقول الآن أنتم يا شباب المسلمين الذين فيكم رجاء المسلمين. مستهدفون من أعداء الاسلام.

وأضاف قائلا: حقيقة ما رأينا في هذا الحفل من تمثيليات دينية هزت المشاعر، وليس في العالم كله دولة إسلامية تناصر الاسلام والمسلمين، وتدعوا للإسلام، وتطالب بحقوق المسلمين، وتدافع عنهم وعن حقوقهم إلا المملكة العربية السعودية.

ولذلك فالمملكة مستهدفة من جميع الجهات ومن جميع العناصر المعادية للإسلام، مستهدفة كما سمعنا أن الماسونية تخطط تخطيطاً دقيقاً للإطاحة بالمسلمين ((وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ))[1]

---

(١) سورة التوبة آية:٣٢.

الدين الإسلامي يقوم على أكتاف أبنائه، والله سبحانه وتعالى يقول: ((وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً)) [1] ولكن يريد من أبناء المسلمين أن يحملوا الإسلام على أكتافهم، يقول صلى الله عليه وسلم {الجنة تحت ظلال السيوف} [2] لماذا ؟ لأن الإسلام لا يقوم إلا بالجهاد، لا يقوم بالراحة والسكون، وسهر الليل، والنوم بالنهار على المسليات والمضحكات.

ليس هذا شأن المسلم، المسلم جادٌ ((إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ)) [3] هذا خُلق المسلم؛ خلق المسلم القرآن، وكان خلق النبي صلى الله عليه وسلم، وخلق الصحابة، وخلق التابعين، وخلق الأمة المسلمة حتى تقطع دابر الاستعمار.

هناك دعوات وقوميات ضد الإسلام، القومية مهما كان نوعها، ومهما كان اسمها، فهي ضد الإسلام، القوميات بأنواعها سواء كانت قوميات إقليمية، أو قوميات لغوية، وقوميات عنصرية، فهي ضد الإسلام والمسلمين، يجب أن نتنبه لهذا، هنا التفافنا واجتماعنا، وكلمة لا اله إلا الله محمد رسول الله

---

(١) سورة المائدة آية:٤٨.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٢٩٦٦)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٩٠٢)
(٣) سورة الطارق آية:١٣-١٤.

((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا))[1] خصلتان لابد لكل مسلم منهما الاعتصام بحبل الله، والتمسك بكتاب الله وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبسلف الأمة الصالح الذي ليس فيه غلو ولا إفراط ولا تفريط، ولا تحريم ما أحل الله ولا تحليل ما حرم الله، فالحلال ما أحل الله، ولا حرام إلا ما حرم الله، ولا ينبغي للمسلم أن يحرم على نفسه ما أحل الله، ولا يحل لنفسه ما حرم الله.

دين سماحة.

ومضى الشيخ قائلا: اتقوا الله أيها المسلمون. الدين الإسلامي دين سماحة، ودين يُسر وتعاون أخوة وترابط، دين دعوة، دين جهاد، ديننا ليس دين تزمت ولا دين ازدواجية، دين الإسلام: عبادة، وعمل، من جميع نواحي الحياة، الدين الإسلامي يدعو إلى ذلك. ولا يجب أن نأخذ الإسلام على جهل، فما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أخذناه وما رده رددناه.

هناك بعض الإخوان من الشباب يرى ما لا يراه الآخرون. يقولون لا نريد الكهرباء، ولا الثلاجات، ليس هذا من الإسلام، قال تعالى:

((قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ))[2] الله حلل

---

(١) سورة آل عمران:١٠٣.
(٢) سورة الأعراف آية: ٣٢.

الطيبات. فمن يفعل هذا لا يعرف الإسلام على حقيقته، ويأخذون الإسلام على غير بصيرة.

لا ينبغي على المسلم سواء كان ناشئاً أو لديه خبرة أن يغرّ الشباب ولا أن يأتي بما لم يأت به النبي صلى الله عليه وسلم، يجب أن يُعطى الإسلام الصحيح، الإسلام الصادق، بدون تدليس أو إثارة، ولا ينبغي أن نحرض أحداً على أحد.

كلمة إلى الدعاة إلى الله

وقال الشيخ: لقد رأيت في هذا الحفل الكريم، ما يهز القلوب، ويحرك المشاعر ولكن ماذا نفعل، يجب أن نعتمد على الله سبحانه وتعالى، ونأمل في تخطيطٍ بيّنٍ واضح، لا نستهدف بضررٍ أحداً، ولا نقاوم أحداً، ولا نُسئ لأحد، ولكن نقصد وجه الله سبحانه وتعالى ونقصد التقرب إليه سبحانه وتعالى. نقصد الدعوة إلى الله. نحن نريد أن نأخذ بأيدي الناس، بأيدي خلق الله، أياً كانوا سواء كانوا عرباً أو غير عرب، نريد أن ننقذهم من الهلكة الاقتصادية، والهلكة الاجتماعية، والهلكة الدينية، الذين هم واقعون فيها، أخذوها عن جهل.

فيجب على الدعاة إلى الله من أساتذة، ومربين، وطلاب العلم، أن يراعوا الله وأن يتقوا الله في دعواهم في كل مكان، بأن يحلّوا ما أحل الله وأن يحرموا ما حرم الله.

هذه الصحوة الإسلامية، نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعلها خيراً للأمة الإسلامية، وأن يجعلها وِفق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يجعلها خالصة لوجه الله، لا يشوبها شائبة، ولا يدخلها زيف.

دسائس اعداء الاسلام

أتظنون أن الاستعمار وأعداء الاسلام سيتركون الإسلام على ما هو عليه، تشق طريقها. لا. سيدسّون لها من كل وسيلة. سَيحرِثُون ضدّها، حتى يقضوا عليها.

ولا نريد إثارة أحد، ولا إغضاب أحد، ولا نريد سُمعة ورياء في هذه الدنيا. ولكن يجب على دعاة الاسلام إنارة الطريق أمام المسلمين، الطريق مظلمة. هذه هي واجبات الدعاة. ولكن هناك شعوباً تأتي علينا بما ينهى عنه الإسلام. لا يعرفون الزكاة، ولا يعرفون الحلال، ولا الحرام لا يعرف كذا. وكذا.

آباؤنا وأجدادنا فتحوا الأمصار بأي شيء؛ بالطائرات أو السيارات. في بواخر. كان ذلك على الأقدام أو الخيل والحمير.

وكان التاجر يذهب بتجارته إلى بلدٍ غير مسلم، ولكن كان يراعي الله في معاملاته. الصدق، الأمانة، الوفاء، يدعو سرا عملاءه إلى الاسلام.

أما الآن مع الأسف فبعض تجارنا. هناك غِشّ وخداع ومكر وخيانة. هذا لا يتمشى مع الاسلام. هناك معاملة سيئة.

وصيتي للشباب في هذه الأمسية. ولأبنائي الطلاب، الوقت يمضي والوقت من العمر، والساعةُ التي تمضي هي من الحياة، والمرء سيسأل عن هذا الزمن. أمضاه في الخير أو في غيره. الله يقول:((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ))[1].

أبنائي: احفظوا الوقت. لا تضيعوه في الليل أو في النهار، وفيما لا ينفع، وستحاسب عليه كما تحاسب على صلاتك و زكاتك وصومك، ستحاسب على هذا العمر فيما أفنيته ((أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى))[2] عنده ملائكة، حفظة كرام يسجلون كل صغيرة و كبيرة، والله العلي القدير يطلع على كل شيء، ((لَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ))[3].

---

(١) سورة الذاريات آية :٥٦.
(٢) سورة القيامة آية:٣٦.
(٣) سورة فاطر آية:٥.

الاحتكاك بالأولاد أن يأخذوا من خبرة أبيهم، كان الأوائل لهم جلسات، ومجالس يحضر فيها الجيران والأقارب، ويخالط الأبناء هؤلاء فيكتسبون منهم، وله في ذلك كلمة. أن أبناء الإسلام؛ في هذه المراكز الصيفية وهذه المحاضرات، جاءت لتعويض الشباب بهذه الجلسات الطيبة المباركة.

ينبغي لنا أن نحفظ الوقت، ولا نصرفه إلا فيما ينفع. وليس فيما يضر، إن لنفسك عليك حقا. اجعلوا وقتا للقرآن، والأحاديث، للمحاضرات، للراحة، وقتاً للتجارة. وهكذا.

لا تضع وقتك في النوم ٢٤ ساعة. خذوا من أساتذتكم النصح والإرشاد.

لقد أعجبني كثيرا مما رأيت من الشباب. الشباب المسلم الذي نُعلّق آمالنا على الله ثم عليهم. تلك الصحوة. شباب يذكرون الله، ويتألمون على أوجاع المسلمين. هذه صحوة خيرة بأذن الله.

نطلب من الله العلي القدير أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعل مجتمعنا هذا مجتمعاً مرحوما. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

الهجرة النبوية الفاصل بين الحق والباطل [1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

ففي هذه الأيام التي ودعنا فيها عاما مضى بأحداثه وبمواعظه وعبره وبخبراته وإفاضات الله فيه تلك الأحداث التي تركت آثارا في النفوس وآثارا في الاقتصاد. ودعنا عاما ظهرت فيه آثار القدرة الالهية ونفذ فيه قدر الله.

وفي الوقت نفسه نستقبل عاما جديدا لا ندري ما الله قاضي فيه فلا زالت أقدرا الله تحت ستار الغيب فيجب إن نأخذ من الماضي عبرا ومواعظ وتربية وتعليما ودرسا للمستقبل فأرجو من إخواني المسلمين أن يكونوا أهل فطنة وكيس .وأهل ثبات وتأني فلا يأخذوا من الأقوال إلا صحيحها ولا من الأفعال إلا ما عرفنا أهدافها وغاياتها ومطابقتها لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عملا بقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا

---

(١) مقالة كتبتها الشيخ عبدالله في ثلاثة أجزاء ونُشرت في عدد من الصحف والمجلات كان أولها بتاريخ ١٤١٢/١/٨هـ في صحيفة الأمة الإسلامية وهي صحيفة أسبوعية تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر بالمملكة العربية السعودية.
ثم في صحيفة المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية بتاريخ ١٤١٧/١/٩هـ
ثم في مجلة الدعوة في المملكة العربية السعودية بتاريخ ١٤١٧/٢/٤هـ

أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) وقوله تعالى:((وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) وقوله صلى الله عليه وسلم : {كفى بالمرء إثما إن يحدث بكل ما سمع}[1] وقوله عليه الصلاة والسلام (المؤمن كيّس فطِن) وقوله {من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد }[2]

يجب على الأمة الإسلامية أن تستقبل عامها بالجد والصدق والإخاء والإخلاص والتعاون على البر والتقوى وان تتلافى الأخطاء التي مضت في أعوامها الفائتة اسأل الله أن يجعل عامنا الجديد عام هداية ورشد وعز ونصر للإسلام والمسلمين وعام خير وبركة وهدوء واستقرار وعمل وجد ونشاط.

وبهذه المناسبة أتكلم بإيجاز عن الهجرة النبوية التي هي مبدأ التاريخ الهجري ان هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة دار قومه وعشيرته الى المدينة المنورة دار الانصار والمهاجرة حدث اسلامي كبير وكانت فاصلا بين الحق والباطل وبين الفكر والايمان وجد المسلمون حصنا حصينا ومعقلا ومأمنا وقوة وانصاراً كانت فخراً لأهل المدينة ونجاة.

---

(١) رواه أبو داود في سننه: رقم (٤٩٩٢)، وابن حبان. انظر الإحسان:١/١١٦(٣٠)

(٢) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٧١٨).

وعزاً لطيبة ادام الله حراسته ورعايته ولطفه عليها وعلى سكانها وعلى جميع المسلمين.

وسألخص لك أخي القارىء ان شاء الله سبب الهجرة وفوائدها وابتداء التاريخ بها من باب التذكرة.

سبب الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

من المعلوم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب مكة لأنها مسقط رأسه ودار عشيرته وقومه، وفيها نشأ وترعرع والفها ولكن إرادة الله غالبة. فلما أرسل بالمدثر ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ))[1] شمر عن ساعد الجد وأخذ يدعو إلى ربه ويقرأ القرآن ويسمعه الناس، فآمن به أفراد من أهل مكة من المستضعفين، وآخرون أخفوا إسلامهم خوفا من قومهم أن يفتنوهم وأعلن براءته من الأصنام وهجر الأوثان. فلما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين. نادى يابني هاشم يابني عبد المطلب يابني فلان حتى عدهم فخذاً فخذا فلما اجتمعوا اليه عند الصفا قال عليه الصلاة والسلام أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من وراء هذا الجبل أكنتم مصدقي؛ قالوا ما جرّبنا عليك كذبا. قال فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك

---

(١) سورة المدثر آية:١،٢.

ما جمعتنا إلا لهذا، واخذ أبو لهب وهو عبد العزى بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ يكذّب رسول الله، ويندد به في المجالس ويؤذي النبي الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام وتساعد أبا لهب امرأته فانزل فيها سورة تتلى الى يوم القيامة ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ))[1] إلى آخر السورة وأمر عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُعدّ صاعا من طعام ويجعل عليه رِجل شاةٍ، فدعا بني عبد المطلب وبني هاشم فحضروا، وكانوا قريباً من أربعين رجلاً، فدعا صلى الله عليه وسلم في الطعام، وبارك الله فيه، فقال خذوا باسم الله. فأكلوا كلهم وشبعوا وما نقص الطعام، فبادرهم أبو لهب، فقال سحركم صاحبكم، ودعاهم ثانية، وسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا إلى ما أرسل به، وطلب منهم أن يؤمنوا به وبرسالته وأن يناصروا دعوته، فلم يستجيبوا له، وأخذ المشركون يتكلمون في رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن قائل ساحر، ومن قائل كاهن، ومن قائل شاعر، وكلما قالوا كلاماً رد عليهم الوحي من السماء ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ))[2] ووجد عليه الصلاة والسلام معاندة

---

(١) سورة المسد آية:١.
(٢) سورة الحاقة آية:٤٠- ٤٢.

ومكابرة ومقاومة للدعوة كما وجد المستضعفون من المسلمين أذى شديداً من جبابرة قريش وقال الظالمون منهم ((لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)) ومن أعظم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان طاهراً مطهراً من أدناس الجاهلية ومن أوضار الوثنية، صدوقاً في أقواله وفياً بوعده، أميناً في قومه، فكانوا يسمونه الأمين، ولما اختلفوا في وضع الحجر في موضعه عند تجديد بناء الكعبة المشرفة، اختاروه حكماً بينهم، فحكم وعدل عليه الصلاة والسلام، وأرضى جميع القبائل، وأطفأ الله به فتنة كادت تشتعل نارها، ولا أعظم من اختبار الله لهذا النبي العظيم ((اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)) [1] ولما أمر صلى الله عليه وسلم بإظهار الدعوة والجهر بها فأنزل الله عليه ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)) [2] صار يأتي قريشا في أنديتهم ويدعوهم إلى الإسلام وإلى توحيد الله وترك الأوثان ويبين حقيقة تلك الأحجار المنحوتة والأصنام التي صنعها الناس؛ وأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تسمع، فذهب كبراؤهم إلى أبي طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان من جواره وحمايته، فقالوا كفّ ابن أخيك عن سب آلهتنا وتسفيه أحلامنا، فقال لهم كلاماً حسناً ثم

---

(١) سورة الأنعام آية:١٢٤.
(٢) سورة الحجر آية:٩٤.

جاؤوا إليه ثانية، وهددوا أبا طالب بالحرب، فدعا أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قال قومه، فكأن الصفوة المطهر عليه الصلاة والسلام وقع في نفسه أن عمه أبا طالب سيخفى عنه، وأنه مساومة، فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أدع هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك فيه، وأخذت العبرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وبكى وقام منصرفا، فدعاه عمه أبو طالب وقال يا ابن أخي قل ما شئت وافعل ما شئت فلن يخلص إليك أحد فنشط في الدعوة وهدى الله عمه حمزة بن عبد المطلب فأسلم وأسلم عمر بن الخطاب وكانا قوة للإسلام والمسلمين رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين، وأخذ الإسلام ينتشر رغم المقاومة ورغم الدعايات المضادة. وهاجر من المسلمين أعداد إلى الحبشة فوجدوا منعة ودعة.

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب اقتصادياً وأدبياً وسياسياً، وتآمروا ضدهم على أن لا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم ولا يبيعون ولا يشترون منهم، وكتبوا ورقة بذلك، وجعلوا الصحيفة في جوف الكعبة حيث الأمان، فانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب ودخلوا معه شِعْبه إلا أبا لهب فإنه خرج من بني هاشم وبني عبد المطلب، وصار من المتآمرين الظالمين، واجتمع نفر من عقلاء قريش واتفقوا

على نقض الصحيفة، وقالوا ما رضينا كتابتها. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب بأن الأرضة أكلت الصحيفة فلم تدع فيها إلا اسم الله. فأخبر أبا طالب قريشاً بما قاله الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فلما اخذوا الصحيفة وجدوها كما قال وفكوا الحصار وأبطلوا المؤامرة.

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عشيرته وقومه لم يناصروه ولم يساندوا دعوته أخذ يعرض نفسه على القبائل حول مكة وفي المواسم يأتيهم في منازلهم فلم يستجب له أحد؛ حتى لقى ستة نفر من أهل المدينة فدعاهم وقرأ عليهم القرآن وأخبرهم بأنه رسول الله فقالوا هذا النبي الذي كان اليهود قد وعدوا به فاسبقوهم إليه فوعدوه بأن يخبروا قومهم في المدينة ويأتوا إليه في العام القادم. الحديث له بقية في عدد قادم إن شاء الله.

مقدمات الهجرة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد سبق الكلام عن أسباب الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

وفي هذا الحديث معك أخي القارىء أتكلم عن مقدمات الهجرة النبوية.

قلتُ في الحديث الأول إن النبي صلى الله عليه وسلم لقي ستة نفر من أهل المدينة في موسم الحج فدعاهم إلى الاستماع إلى القرآن وأخبرهم بأن الله أرسله ورغّبهم في الإسلام، فقال بعضهم إن هذا هو النبي الذي كانت اليهود تتوعدكم به فلا يسبقنكم إليه فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم سيعرضون أمرهم على قومهم وعسى الله أن يجمعهم عليك وواعدوه العام القادم.

فلما كان العام القادم حج من الأنصار اثنا عشر رجلاً فلقوا النبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة فبايعوه عليه الصلاة والسلام على التوحيد والالتزام بتشريع الإسلام، روى البخاري رحمه الله عن عبادة بن صامت رضي الله عنه[1] قال: {بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة على ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي بهتاناً نفتريه

---

(١) صحيح البخاري: رقم (٦٨٧٣).

بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصي في معروف، فمن وفّى فأجره على الله ومن أصاب بعد ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلى الله إن شاء عاقبه وان شاء عفا عنه وتسمى هذه البيعة بيعة النساء لقوله تعالى:((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (١)

وبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضي الله عنه يعلمهم الإسلام ويقرأ عليهم القرآن، قيل وكان يصلي بهم وأخذ مصعب بن عمير يدعو للإسلام، فهدى الله به خلقا كثيراً ثم رجع إلى مكة.

وفي الحج الذي يلي تلك السنة خرج من الأوس والخزرج من خرج مع قومهم من أهل الشرك، وكان المسلمون يكتمون إسلامهم على قومهم، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فلما فرغوا من الحج وجاءت ليلة الموعد ومضى ثلث الليل تسلل الأنصار من قومهم مستخفين، فاجتمعوا في الشِّعب عند العقبة، وكان عددهم ثلاثة وسبعون رجلاً ومعهم

---

(١) سورة الممتحنة آية:١٢.

امرأتان. فجاءهم نبي الرحمة ورسول الهداية صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب، ولم يسلم العباس اذاك لكنه أراد إن يحضر أرم ابن أخته، ويتوثق له فقال الأنصار تكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم عليه الصلاة والسلام وقرأ القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال: أبايعكم على إن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم، وقال عليه الصلاة والسلام اخرجوا لي منكم اثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا اثني عشر نقيباً تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. وقالوا: ابسط يدك يا رسول الله نبايعك فبسط يده فبايعوه على السمع والطاعة في العُسر واليسر وعلى أثرةٍ عليهم وألا ينازعوا الأمر أهله، وان يقولوا بالحق أينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم.

وقال للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء كفالة. الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي، يعني المسلمين قالوا نعم، وأذن صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى المدينة فصاروا يتوافدون على الأنصار فيستقبلونهم على الرحب والسعة وطيب النفس وسماحة البال وكرم الضيافة والإيثار، فمدحهم الله في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[1] وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين: إني رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين فهاجر من هاجر قِبل المدينة، ورجع من كان في الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبو بكر رضي الله عنه قَبْل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: على رسلك فإني ارجو أن يؤذن لي.

وكانت قريش تعترض المهاجرين من مكة فتأخذ أموالهم، وإذا كانت النساء من قومهم ردوها.

وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر الإذن من الله في الهجرة وبقي معه أبو بكر وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما. وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له {لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا}[2] فطمع أبو بكر أن يكون صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صار له أنصار وأصحاب من غيرهم، ورأوا المهاجرين قد خرجوا من دارهم ووجدوا حِصناً ومنعة عرفوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة الحشر آية:٩.

(٢) البداية والنهاية:٣/١٧٧.

سيلحق بهم، ويكون جيشاً قوياً يحاربهم به، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه.

روى الطبري في التاريخ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما اجتمعت قريش للتشاور في شأن رسول الله واقعدوا دار الندوة وفي اليوم الذي اقعدوا له في يوم الزحمة اعترضهم ابليس في هيئة شيخ جليل فقالوا من الشيخ فقال شيخ سمع بالذي اقعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولوا وعسى ألا يعدمكم منه رأياً ونُصحاً، قالوا ادخل، وأخذوا يتداولون الآراء كلما قالوا رأياً قال ابليس ليس هذا بالرأي أو يروا رأياً غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام أرى أن تأخذوا من كل قبيلة شاباً جلداً نسيباً وسيطاً فينا. ثم نعطي كل واحد منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدون إليه، ثم يضربونه بها ضربة رجل واحد يقتلونه، فنستريح ويتفرق دمه في القبائل، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ويرضون منا بالعقل. فقال الشيطان القول ما قال الرجل فتفرق القوم على ذلك.

فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه. ونجّى الله نبيه صلى الله عليه وسلم من مكرهم

وخداعهم، وأنزل الله عليه ((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ))[1]

فأمر علياً رضي الله عنه أن ينام تلك الليلة في فراشه ويتغطى ببرده وقال لن يخلص اليك أحد.

فلما كان العتمة من الليل اجتمع رهط الغدر والخيانة عند باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج عليه الصلاة والسلام من الباب الذي عنده العصابة وهو يقرأ ((يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ))[2]

فأعمى الله أبصارهم فلم يروا النبي المطهر صلى الله عليه وسلم وأذ حفنة من تراب وجعل على رأس كل واحد منهم تراباً، وذهب حيث أمره الله، وأذن الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالهجرة بقوله ((وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ

(١) سورة الأنفال آية:٣٠.
(٢) سورة يس آية :١-٩.

وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا)) [1] البخاري مع فتح الباري.

وصاروا ينظرون إلى عليّ في الفراش ويقولون هذا محمد فمر بهم رجل فقال ما تنظرون ههنا قالوا محمد قال خيبكم الله قد خرج والله محمد. ثم ما ترك منكم رجلاً الا قد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم فمس كل واحد رأسه فوجد التراب عليه.

ولكنهم إذا نظروا من ثقوب الباب يرون عليا رضي الله عنه فيظنون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والى اللقاء في الحديث الثالث (هجرة أكرم الخلق صلى الله عليه وسلم)

---

(١) سورة الإسراء آية: ٨٠.

صفة الهجرة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد تقدم في الحديث الثاني القول عن مقدمات الهجرة وفي الحديث الأول كان عن أسباب الهجرة.

والآن أتكلم أخي القارىء الكريم عن صفة الهجرة النبوية، فستجد إن شاء الله ما يدل على كمال قدرة الله ورعايته وحفظه لنبيه صلى الله عليه وسلم، وستجد صبر هذا النبي العربي الهاشمي وعظمة شخصيته وقوة عزيمته، وتعلق قلبه بالله وحده، ستجد العفة والشهامة والأخلاق التي ربى الخالق عليها رسوله صلى الله عليه وسلم، كما ستجد الشخصية المؤمنة بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمتمثلة في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وصدق إيمانه، وإخلاص عقيدته، ووفاته، وحمايته، وفدائه لنبي الله بماله ونفسه.

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من داره من بين أهله وعشيرته بعد المؤامرة الماكرة التي اقترفها رأس الكفر أبو جهل وأيدها قائده ابليس، واختلف

المؤرخون أين توجه عليه الصلاة والسلام، فنقل الطبري عن بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه إذا سأل أبوبكر عني فأخبره أنني توجهت إلى ثور، فليلحق بي، وقال لعلي رضي الله عنه تخلّف في مكة ورد الأمانات إلى أهلها والودائع، فلحق أبو بكر رضي الله عنه في ظلمة الليل، فأحس به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فظنه من المشركين فأسرع الصفوة المختار، وانقطع قبال نعله، فضرب ابهام رجله في حجر وسال منها الدم، فخاف أبو بكر أن يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم فناداه ليعرّفه بنفسه، فقام حتى أتاه، فانطلقا ورِجل سيد الخلق تسيل دماً حتى انتهيا إلى الغار مع الصبح فدخلا فيه. روى البخاري والطبري عن عائشة ونقله ابن هشام عن ابن إسحاق {أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء متقنعاً في ساعة ما كان يأتي فيها في الظهيرة، ودخل عليه الصلاة والسلام دار أبي بكر فتأخر له أبوبكر عن السرير فجلس عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن عندهما إلا عائشة وأسماء- ابنتا أبي بكر – فقال رسول الله (قد أذن الله لي

في الخروج والهجرة، فقال أبوبكر الصحبة يا رسول الله، قال الصحبة، فبكى أبوبكر رضي الله عنه من الفرح} [1]

وكان أبوبكر أعد راحلتين للهجرة، فاستأجر عبدالله بن أريقط ليدلهما على الطريق، وكان عبدالله بن أريقط مشركاً.

وأمر أبوبكر ابنه عبدالله أن يأتيهما بالأخبار وينام عندهما ويعود في الصباح، وأمر أسماء أن تأتيهم بالغداء، وأمر عامر بن فهيرة أن يروح عليهم بالغنم، وأمر عبدالله بن أيقط أن يأتيهم بالرواحل بعد ثلاث، وأخذ أبوبكر ماله كله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فقال أبوه لأسماء فجعكم في ماله كما فجعكم في نفسه، فقالت له: بل ترك لنا خيراً كثيراً، وكان أبو قحافة كف بصره، فأخذت حجارة ووضعتها في الكوة التي توضع فيها القود عادة وغطتها بثوب ووضعت يد جدها عليها، فقالت هذا المال الذي تركه لنا أبي، فقال: قد أحسن، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبوبكر إلى غار ثور، فلما وصلا الغار، دخله أبوبكر يتحسسه لئلا يكون فيه ما يؤذي

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٥٨٠٧).

رسول الله صلى الله عليه وسلم، يفديه بنفسه، واختفى الصفوة محمد بن عبدالله وصاحبه في الغار، فلما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّت في طلبه، وجعل مائة ناقة لمن يرده إليهم، فأتى أبو جهل بيت أبي بكر وسأل أسماء عن أبيها، فقالت لا أدري، فلطمها الفاحش الخبيث على خدها وأسقط قرطها، وتتبعوا آثار المشاة جهة الغار فأعمى الله أبصارهم، قال أبوبكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم {لو أن أحدهم نظر موقع قدميه لأبصرنا، فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما}[1] ، لا تحزن إن الله معنا، وقام كل واحد من أولاد أبي بكر والخادم عامر بما طُلب منهم، وكان عبدالله بن أبي بكر يبيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيه في الغار ويعود صباحاً، وبعد ثلاث ليال مكثها عبدالله وخليله وكليمه وصفوته من خلقه في غار ثور، وبعد أن كفّ الطلب وانقطع القول، جاء ابن أريقط بالراحلتين، وقدم أبوبكر أفضلهما إلى سول الله صلى الله عليه وسلم، فقال اركب بأبي أنت وأمي، فقال: لا بالثمَن، فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرادت أسماء أن تعلق السفرة، فلم تجد حبلاً فشقت

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٣٦٥٣)، ومسلم في صحيحه: رقم (٢٣٨١)

نطاقها وعلقتها، فسميت بذات النطاق، أو النطاقين، وتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه إلى المدينة، ولا يعلم أحد بوجهتهما، ومعهما الدليل عبدالله بن أريقط والخادم عامر بن فهيرة، وأبصرهما رجل فأخبر سراقة بن مالك، فلحقهما على فرسه فعثرت به فرسه، مرتين يسقط من فوقها، وفي الثالثة غاصت قوائم الفرس في الأرض وسقط، ثم حال بينه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه إعصار من الدخان فلم يره، فنادى وأخبرهم باسمه، وطلب كتاباً يكون له آية، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر بن فهيرة أن يكتب الكتاب.

وذكر البخاري رحمه الله عن ابن شهاب، {أن سراقة بن مالك بن جعشم، قال: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن يقتله أو أسره، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج إذ أقبل رجل فقال يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمدا وأصحابه، قال سراقة فعرفتُ أنهم هم، إنهم ليسوا هم، إنما رأيتَ فلاناً وفلاناً، انطلقوا بأعيننا، ثم لبثت في المجلس ساعة، ثم قمتُ فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها عليّ،

وأخذت رمحي وخرجت به من ظهر البيت، فركبت فرسي فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم، فعثرت بي فرسي فخررت عنها، فركبت فرسي تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لا يلتفت، وأبوبكر يكثر الالتفات فساحت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها غثان ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمتُ بالأزلام فخرج الذي أكره، فوقع في نفسي لما حُبستُ عنهم أنه سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فناديتهم بالأمان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم، فقلت له إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال: أخف عنا، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن، فأمر عامر بن فهيرة وكتب في رقعة من أدم}[1] ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية لما ساحت قوائم فرسة في الأرض دعا له صلى الله عليه وسلم، فنجا، فجعل سراقة لا يلقى أحداً إلا ردّه، فكان سراقة في أول النهار معادياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، طامعاً في جُعل المشركين، وفي آخر النهار حاساً له،

(١) صحيح البخاري: رقم (٣٩٠٦).

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف وحنين لقيه سراقة بن مالك في الجعرانة، ورفع إليه الكتاب الذي كتب له، فقال عليه الصلاة والسلام يوم وفاءٍ وبِرٍ.

ومضى ثلاث ليال بعد انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه من الغار لا يعلم أحد بوجهه من الأرض حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يقول أبياتاً بلغة العرب والناس يتبعونه ويسمعون صوته ولا يرونه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلّا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروّحا فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بنو كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

واسم أم معبد: عاتكة بنت خالد، كانت امرأة برزة كريمة ذات شهامة تحتفي في فناء الخيمة، وتسقي وتطعم، فلما وصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ومن معهما سألوها لحماً وتمراً يشترونه، فلم يجدوا شيئاً، وكان القوم مقحلين سنتين، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة بقعر الخيمة،

فقال ما هذه الشاة يا أم معبد، قالت خلّفها الجهد عن الغنم، قال هل بها من لبن، قالت هي أجهد من ذلك، قال أتأذنين لي أن أحلبها، قالت بأبي أنت وأمي إذا رأيت بها حليباً فاحلبها، فمسح صلى الله عليه وسلم بيده المباركة ضرعها وسمى الله ودعا لها في شأنها، ودعا بإناء يروي الرهط، فحلب فيه حتى علاه لبنها، ثم سقى أم معبد وسقى أصحابه، وشرب آخرهم، وبايعته أم معبد على الإسلام، ولما أرادوا الانصراف مسح النبي المبارك صلى الله عليه وسلم على ضرع الشاة وحلب في الإناء وتركه عند أم معبد، فلما عاد زوجها وجد اللبن فأخبرته، قال هذا صاحب قريش لقد هممت أن أصحبه.

قالت أسماء بنت أبي بكر، فلما سمعنا صوت شاعر الجن عرفنا وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه إلى المدينة، وقال بعض المؤرخين إن قريشاً سمعت قائلاً يقول في الليل على جبل أبي قبيس

فإن يُسلم السعدان يصبح محمد بمكة لا يخشى خلال المخالف

يقال أبو سفيان من السعدان؟ سعد بكر، وسعد تميم، وسعد هذيم.

فلما كان في الليلة الثانية سمعوه يقول:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرج الغطارف

أجيبا إلى داعي الهنى وتمنّيا على الله في الفردوس منية عارف

فعرفوا السعدين منهما: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهما.

ولما سمع المهاجرون والأنصار بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة وتحروا قدومه، كانوا يخرجون إلى صلاة الصبح إلى خارج حرة قباء، فينتظرون سول الله صلى الله عليه وسلم، فما يبرحون حتى تغلبهم الشمس على الظل، حتى كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلوا، فكان أول من رآه رجل من اليهود وكان على سطح له ينظر حاجة له، وكان يرى حرصهم على استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصرخ اليهودي بأعلى صوته ينادي الأنصار، يا بني قيلة – جدة لهم – هذا جدكم قد جاء فخرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في ظل نخلة ومعه أبوبكر، فما عرف بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قام أبوبكر يظلله بردائه.

هكذا حملة الرسالة، وهكذا دعاة الخير والإصلاح تواضع وسماحة ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[1] {ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل بظل شجرة ثم راح وتركها}[2]

والحمد لله أولا وآخر، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

(١) سورة الأنعام آية:١٦٢.
(٢) حديث رواه الترمذي في سننه: رقم (٢٣٧٧)، وقال حديث حسن صحيح.

الهجرة النبوية وأسبابها

الحمد لله رب العالمين، يكور الليل على النهار ويكون النهار على الليل، يغشـــي الليل النهار يطلبه حثيثا، وبذلك يمر التاريخ وينقضـــي الزمن، وتفنى الأعمـار، أعمـار الأفراد وأعمـار الجماعـات، واعمـار الأمم وأعمـار الـدول. فسبحان الحي الذي لا يموت، وسبحان الواحد القهار.

والصـلاة والسـلام على الهادي البشـير والسـراج المنير سـيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فإن الله تعالى أكرم الإنســـان وفضـــله، ميّزه بالعقل وكلّفه. فبالعقل يدرك الإنسان ماضيه ويتذكر ما عمل فيها، ويتأمل مستقبله ويخطط للعمل فيه.

إنه ليس بين العامين فاصـــل ولا برزخ بل هذا ينتهي وهذا يبتدىء، فقد ودعنا عاما انقضـــى وطويت صـــحائفه ورفعت في قســـم المحفوظات مدخرة لأصحابها بما فيها من حسنات وسيئات، وبما فيه من حسن وقبيح ومن خطأ وصـــحيح، لا زيادة ولا نقصـــان، ولا تغيير ولا تبديل، ولا مزيل ولا تحريف

((وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)) [1]

اتق الله أيها القارىء؛ لقد استقبلنا عاماً جديداً، لازالت صحائفه بيضاء. فتأمل أخي المسلم ما تكتب فيها، كم للإنسان من آمال وتطلّعات وتخطيط، ولن يحصل إلا ما قُدّر، فلا تفرح أخي المسلم بما تنال ولا تيأس على ما فات، كن فخوراً بدينك، معتزاً بإسلامك، داعياً إلى ربك،((وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)) [2] ((لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)) [3].

لقد وجد صلى الله عليه وسلم عند أول الوحي ما وجد، وأوذي في الدعوة فصبر، وحوصر فلم يتغيّر، وتآمروا على قتله فهاجر.

ولما مكنه الله منهم قال يوم الفتح: (لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء) [4].

والعام الذي أشرت إليه هو العام الهجري. وما هي الهجرة وأسبابها:

---

(١) سورة الكهف آية:٤٩.
(٢) سورة لقمان آية:١٧.
(٣) سورة الأحزاب آية:٢١.
(٤) السنن الكبرى للبيهقي:١١٨/٩

روى البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت كان أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلا، فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه، قال والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد، قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال اقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بقارىء" أنا لا أعرف القراءة" قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ، قلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ، قلت ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)) [1] فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتجف بوادره، حتى دخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه، حتى ذهب عنه الروع، قال لخديجة: أي خديجة مالي، لقد خشيت على نفسي، فأخبرها الخبر، قالت خديجة كلا أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا، فو الله إنك لتصل

(١) سورة العلق آية: ١-٥.

الرحم ، وتصْـدُق الحديث وتحمل الكلّ وتكسـب المعدوم، وتقري الضـيف، وتعين على نوائب الحق.

فانطلقت به خديجة رضي الله عنها حتى أتت له ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأً تنصّـر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الانجيل بالعربية ما شـاء الله أن يكتب، وكان شـيخاً كبيراً قد عمي، فقالت خديجة يا عم اسمع من ابن أخيك، قال ورقة يا ابن أخي ماذا ترى، فأخبره النبي صـلى الله عليه وسـلم خبر ما رأى، فقال ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسـى ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً. ذكر حرفاً (كذا في البخاري) قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أوَ مخرجيّ هم، قال ورقة لم يأت رجل بما جئت به إلا أوذي، وإن يدركني يومك حياً؛ أنصرك نصرا مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن تُوفي[1].

وأرادت خديجة زوج النبي صـلى الله عليه وسـلم أن تبرهن له أن الذي يأتيه ملكٌ، وليس شـيطان، فلما رآه وهو في بيتها تحسّـرت، وألقت خمارها فقالت هل تراه؟ قال لا، قالت يا ابن عم أثبت وأبشـر فو الله إنه لملك وما هو بشيطان.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٦٩٨٢).

ثم تتابع الوحي إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهو مؤمن بالله مصدقٌ بما أنزل عليه، قَبلهُ بقبوله، وتحمّل منه ما حمله، على رضا العباد وسخطهم.

والنبوة أثقال، لا يحملها ولا يستطيع حملها إلا أهل العزم من الرسل بعون الله وتوفيقه.

وكان عليه الصلاة والسلام يُسرّ بدعوته، وأبو بكر ممن سبق إلى الإسلام وله مكانة اقتصادية واجتماعية في أهل مكة، فآمن بدعوته من هداه الله، وفرضت الصلاة، فعلّم جبريل عليه السلام؛ النبي الوضوء، والصلاة، وأعلمه بأوقاتها، فكان نبي الرحمة يصلي بالمؤمنين متخفّين، وفشا ذِكر الإسلام في مكة، وتحدثوا به ودخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، ثم أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ، وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ))[1]وقوله تعالى ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ))[2] وقوله ((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

(١) سورة المدثر آية:١-٧.
(٢) سورة الحجر آية:٩٤.

الْمُؤْمِنِينَ))[1] ((وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ)) [2]

فبَادَر الناسَ بأمر الله وجهر بدعوته، وأظهر عبادته.

فلما دعا رسول الله إلى توحيد الله وترك ما سواه، وأمر بترك الأوثان والكفر بالطاغوت، تنكّر له قومه وأجمعوا على عداوته ومنابذته. وحاولوا شتى المحاولات أن يكفّ عن آلهتهم، وأن يترك ما جاء به، فقال والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

وخاف أن يتخلّى عنه عمه أبو طالب فتعبّر، فدعاه عمه وقال يا ابن أخي افعل ما تشاء فلن يخلص إليك أحد.

ثم مات أبو طالب وماتت خديجة في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين، وكانت خديجة زوج النبي وسَكَنه؛ يشكو إليها ما يجد، وعمّه عضداً وحرزاً في أمره ومنعة وناصرا على قومه، فنالت قريشٌ من رسول الله مالم تكون تطمع به في حياة عمه، فآذاه عمه أبو لهب وامرأته، جميلة، وهي التي وضعت الشوك في طريقه، وكانوا يلمزونه ويغمزونه حتى اعترضه سفيه فنثر على رأس النبي التراب، فجعلت إحدى بناته تغسل التراب وهي تبكي فقال لها (لا تبكي يا

---

(١) سورة الشعراء آية:٢١٤-٢١٥.
(٢) سورة الحجر آية:٩٨.

بنية، فإن الله مانعٌ أباك) ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ثقيف يطلب النصرة، فلم يجد خيراً، ثم أخذ يعرض نفسه على القبائل، فلم يستجب له أحد.

ولما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه، وأراد بالمدينة وأهلها خيراً لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج ستة نفر من أهل المدينة، فدعاهم وكان بين الخزرج واليهود شقاق، وكانت اليهود يتوعّدونهم بالنبي الذي قرب زمان مبعثه، يؤمنون به ويقاتلونهم معه، فقال النفر إن هذا هو النبي الذي تذكر يهود، فلا يسبقنكم إليه فأسلموا ورجعوا إلى قومهم وأخبروا من يثقون فيه، وفي العام الذي بعده قدِم الحج اثني عشر رجلا من الأنصار فأسلموا وبايعوا رسول الله بيعة النساء على الإيمان وترك الشرك واجتناب الفواحش والبهتان، ولم يُفرض القتال، وأرسل معهم من يعلّمهم القرآن، وفي الحج الذي يليه قدِم من المسلمين سبعون رجلا وامرأتان مع قومهم المشركين مُخفين أمرهم.

فاجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقة، فطلب منهم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم، فاستوثقوا لأنفسهم واستوثق رسول الله لنفسه، وبايعوه على الإسلام والحماية والنصرة، وأن يمنعوه مما يمنعوا منه أنفسهم وأموالهم وذرا ريهم.

وكانت قريش تعذب المستضعفين من المسلمين بأنواع العذاب، فقال النبي

للمسلمين إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها فالحقوا بإخوانكم الأنصار.

ولما رأت قريش أن المدينة صارت دار اسلام ومنعة للرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن به، ضاقت به ذرعاً كما تضيق القوة الغاشمة بكلمة الحق، فأتَمروا على قتل النبي صلى الله عليه وسلم، ويأبى الله ذلك، فأطلع نبيه على خبرهم وأذن له في الهجرة، فهاجر معه أبوبكر رضي الله عنه، وبقي عليٌّ يرد الودائع التي عند الأمين إلى أهلها، ثم لحق بهم، ولم يبق في مكة إلا محبوس أو مستضعف، واختفى صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار، فلحقتهم قريش بالأثر، فأعمى الله أبصارهم، وحفظ نبيه وأيده بجنوده ((وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ))[1] ولما وصل إلى المدينة وجد الأنصار في انتظاره، فنزل في قباء وأسس المسجد، ثم ركب ناقته إلى حيث أمرها الله، وكلما مرّ بحي من الأنصار طلبوا منه النزول عندهم على المنعة والعدد والعدة، ويأخذون بزمام الناقة طمعا في نزوله، فيقول دعوها فإنها مأمورة.

فبركت الناقة بالصفوة المختار صلى الله عليه وسلم في مكان مسجده هذا فبناه واشترك بنفسه في بنائه.

---

(١) سورة المدثر آية:٣١.

ثم تتابع التشـريع والتكليف وفرائض الإسـلام وبيان الحلال والحرام وتنظيم حياة البشر وسلوك المسلمين.

ولما كان فتح مكة دخل الناس في دين الله أفواجاً، وكان جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم يطلعه على ما خفي من الأمور، ويوجهه بأمر الله ويحفظه بعناية الله، فأظهر الله دينه ونصر نبيه وأعز جنده وهزم أعداءه، وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

اعلم أخي المسلم أن التاريخ الهجري هو تاريخ الأمة المسلمة منذ أربعة عشر قرناً، يتعلق به كثير من أحكام الإسلام كالحج والصيام والعِدد ويتميز التاريخ الهجري بأنه مرتبط بالأشهر القمرية، ولها علامات ظاهرة يعرفها كل أحد وهي الأهلة ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ))[1] والحمد لله أولا وآخراً وصلى الله وسلم على نبينا محمد ،،،

(١) سورة البقرة آية:١٨٩.

الهجرة النبوية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

بمناسبة العام الهجري، يطيب الكلام عن التاريخ الهجري وأسبابه وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأسبابها:

لم يكن للعرب قبل الهجرة النبوية تاريخ ثابت يتّحِدون عليه، فكانت كلّ قبيلة، وكل أهل جهة يؤرخون بأهم الأحداث الطارئة على حياتهم مثل الخِصب، والجدب، والحروب المشهورة، وتحوّلهم من جهة إلى أخرى، وبناء الكعبة، فكان بنو إسماعيل يؤرخون بنار إبراهيم عليه السلام التي نجاه الله منها، حتى بنى إبراهيم وإسماعيل البيت فكانوا يؤرخون به، حتى عام الفيل فكانوا يؤرخون بعام الفيل، حتى بنت قريب الكعبة فكانوا يؤرخون به، حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، فكانوا يؤرخون بالهجرة.

وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكره المؤرخون من مكة إلى المدينة في شهر ربيع الأول، ووصل المدينة في يوم الاثنين الثاني عشر خلت من الشهر المذكور، فلما أحس المسلمون بحاجتهم إلى تاريخ رسائلهم وكتاباتهم جمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس وتشاوروا فاتفقوا على أن يكون التاريخ بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان فرقاً بين الحق والباطل وتحولاً كبيراً في الدعوة الإسلامية وتبليغ الرسالة.

ولما كانت الشهور اثني عشر شهراً كما قال سبحانه: ((إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ))[1] ، فكل السنين في جميع التواريخ اثنا عشر شهراً وإن اختلفت في عدد الأيام.

والأشهر العربية لها علامة واضحة وهي الأهلة وأيامها، إمَّا تسع وعشرون يوماً أو ثلاثون يوماً، كما قال صلى الله عليه وسلم: {الشهر هكذا وهكذا}[2] يشير بيديه مرَّة تسعاً وعشرين ومرة ثلاثين يوماً، كما الواقع المحسوس.

فتشاور المسلمون بأي الشهور يبدؤون، ثم اتفقوا على أن يكون شهر المحرم هو أول السنة الهجرية؛ لأنه منصرف الناس من حجِّهم، وهو شهر حرام، يأمن فيه الناس تأكيداً لحرمته ومخالفة لمن كان يحلّه من المشركين، وعلى هذا أُدرج تاريخ المسلمين.

أمَّا هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وسببها:

فمن المعلوم لدى كلّ مسلم من واقع دراسات السيرة النبوية المقررة في

---

(١) سورة التوبة آية:٣٦.
(٢) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٠٨٠).

المدارس الإسلامية، ما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي رواه البخاري رحمه الله: {أنه لما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأول الوحي فقال له: اقرأ، فقال: {ما أنا بقارئ}، إلى المرة الثالثة، قال له جبريل ((اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))[1]، فجاء إلى زوجته خديجة بنت خويلد بن أسد؛ ترجف بوادره، فقال: {زملوني}، فلما ذهب عنه الروع أخبرها الخبر، فقال: {وخشيت على نفسي}، قالت: لا والله لا يخزيك الله أبداً، فو الله إنك لتصل الرحم، وتصدق الكلام، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل بن أسد، فقصَّت عليه الخبر، فقال: هذا هو الناموس الذي أُنزل على موسى، ليتني كنت فيها جذعاً، ليتني أكون حيّاً حين يُخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أوَ مخرجي هم؟}، قال ورقة: نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلاَّ أوذي، وإن يدركني يومك حيّاً أنصرك نصراً مؤزراً، ولم يلبث ورقة أن توفي}[2].

وكما قال ورقة بن نوفل، لما أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبليغ الدعوة

---

(١) سورة العلق آية: ١-٥.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٦٩٨٢).

وإظهارها بقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ))[1] ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ))[2] وأخذ يدعو قومه، فلم يستجب له إلاَّ أفراد؛ على خوف من ملئهم فكانوا يخفون إسلامهم، فلما أيس من عشيرته ذهب إلى ثقيف فأنكروه وآذوه، وسلَّطوا عليه سفاءهم فرجموه بالحجارة، وأخذ يعرض نفسه على القبائل في مواسم الحجّ، فيقف على القبيلة فيقول: يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من الأنداد، فهل لكم أن تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى أبيِّن عن الله ما بعثني به؟.

فعادته قريش ورموه بالسحر والجنون، وأتوا إلى عمه أبي طالب وكلموه فيه، فدعاه عمه وأخبره بخبر قريش، فقال عليه الصلاة والسلام: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه، وكأنه ظن أن عمه سيتخلى عنه وعَبَر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فناداه عمه فقال: يا ابن أخي افعل ما شئت فو الله لا يخلص أحد إليك، ووجد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين أذى ومضايقة، فوضعوا سَلَا الناقة على ظهره وهو ساجد، ولم يتحرك عند القوم ساكن، ولم

---

(١) سورة المدثر آية:١-٢.
(٢) سورة الحجر آية:٩٤.

يجرؤ أحد على إزالة الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة الزهراء رضي الله عنها فأزالت الأذى عن أبيها صلى الله عليه وسلم، وأخذ المشركون يؤذون المستضعفين من المسلمين فوثبت كلّ قبيلة على من أسلم منها يعذبونهم بالضرب والحبس والجوع والعطش وتجريدهم في الرمضاء إذا اشتد الحر، وبالحجارة الحامية من الشمس، يريدون أن يفتنوهم عن دينهم، وأخذ أبو بكر رضي الله عنه يشتري الأرقاء من المسلمين الذي كانوا يُستعبدون ويخلّصهم من العذاب فأعتق قبل الهجرة ست رقاب فأنزل الله فيه ((فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ))[1]إلى قوله تعالى:((وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ))[2]

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية والمنعة من الله، ثم مِن عمه أبي طالب، قال لهم: {لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد}[3]، فتتابع المهاجرون إلى الحبشة، فأرسلت قريش إلى النجاشي ملك الحبشة تؤلِّبه على المسلمين المهاجرين إليه،

---

(١) سورة الليل آية:٥-٧.
(٢) سورة الليل آية:١٩-٢١.
(٣) رواه البيهقي في سننه الكبرى:١٦/٩.

فلم يقبل منهم قولاً ولم يعط قريشاً شيئاً مما طمعت فيه.

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا فيه أمناً ومنعة عند النجاشي، وقد أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنهما، وجعل الإسلام ينتشر في القبائل اجتمعت قريش وائتمَروا ضد بني هاشم، عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم الأقربين، وكتبوا بينهم صحيفة على أن لا يناكحوهم ولا يبايعونهم ولا يبتاعون منهم شيئاً، واشتدَّ أذى المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه ويضعون عليه القذر، وفي طريقه الشوك، كما قصَّ تعالى عن أبي لهب وهو عبد العزى بن عبدالمطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوجته أم جميل بنت حرب.

مثل قوله تبارك وتعالى: ((تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)) [1] وقوله تعالى: ((وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)) [2] ، وقوله عزَّ وجلَّ: ((ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ)) [3] ، وقوله تبارك وتعالى: ((أَمْ يَقُولُونَ

(١) سورة المسد آية:١.
(٢) سورة الفرقان آية:٥.
(٣) سورة القلم آية:١-٢.

شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ))[1]، وقوله: ((فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ))[2]، وقوله: ((وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ))[3]

ولم يؤثر ما لقيه عليه الصلاة والسلام من قومه في دعوته ولم يُثنه عن عزمه، فواصل دعوته ليل نهار، سراً وجهراً، مبادئاً بأمر الله لا يخاف فيه لومة لائم، وسعى بعض العقلاء من قريش في نقض الصحيفة، فلما أخرجوها وجدوا دابة الأرض أكلتها إلاَّ (باسمك اللهمَّ)، أمَّا كاتب الصحيفة فشلَت يده.

فلما أراد الله إعزاز نبيّه وإنجاز وعده له، وأراد للإسلام عزّاً وتمكيناً، وبالخزرج والأوس خيراً وتآلفاً، وبالمدينة عزّاً ومجداً، لقي صلى الله عليه وسلم نفراً من الخزرج في موسم الحجّ فسألهم فأخبروه عن شأنهم، وكان بين الخزرج واليهود شقاق، وكثير ما تتوعدهم اليهود بالنبي الذي قرُب زمان خروجه، وأنهم سيؤمنون به ويقاتلونهم معه، فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

---

(١) سورة الطور آية: ٣٠-٣١.
(٢) سورة الأنعام آية: ٣٣.
(٣) سورة الأنعام: ٣٤.

الإسلام وقرأ عليهم القرآن، قالوا: هذا هو النبي الذي كان يهود يتوعدوننا به فلا يسبقنكم إليه، فأجابوه وصدقوه وأسلموا، وقالوا: سنقدم على قومنا وندعوهم إلى أمرك وعسى الله أن يجمعهم بك، فإن جمعهم الله إليك فلا رجل أعزّ منك.

فأخبروا قومهم وانتشر خبر الإسلام، فلم تبق دار من دور الأنصار إلاَّ وفيها ذِكرٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي العام القادم قابلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عدداً من الأنصار فبايعوه بيعة النساء وهي العقبة الأولى على ترك الشِّرك واجتناب الزنا والسرقة وألا يقتلوا أولادهم فإذا وفُّوا فلهم الجَنَّة، وبعث معهم مصعب بن عمير يُقرئوهم القرآن، وفي السَّنة التي تليها وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عدد من الأنصار واجتمعوا عند العقبة وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه وأخذ الأنصار لأنفسهم وبايعوه على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وهي العقبة الثانية.

واشتدَّ أذى المشركين للمستضعفين من المسلمين، فقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: (إنَّ الله جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها فالحقوا بإخوانكم الأنصار)، فخرجوا أرسالاً ولم يُؤذنْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كثيراً ما يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فيقول له: انتظر لعل الله أن يجعل لك صاحباً، فطمع أن يكون هو

الرسول عليه الصلاة والسلام فاشترى أبو بكر بعيرين وأعدهما للهجرة، فلما رأت قريش أن الرسول صلى الله عليه وسلم صار له أنصار وصار للإسلام قوة في المدينة خافوا خروجه إليهم فيمتنع بهم، فاجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في حبسه أو إخراجه أو قتله، وحضر معهم إبليس في صورة رجل من أهل الدهاء والحنكة، واتفقوا على أن يأخذوا من كلّ قبيلة شاباً جلْداً يضربون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيوف ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على قتالهم ويرْضَون بالدية، فجاء الخبر من السماء بما بيَّت المشركون وأنزل الله على نبيّه: ((وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)) [1]، وقال له جبريل: لا تنم في فراشك الليلة، وأذِنَ الله عزَّ وجلَّ له بالهجرة، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه ويتغطى ببُردِه، فاجتمعت عصابة الطغيان والظلم والكفر عند بابه ينتظرون خروجه، ويرون علياً نائماً فيظنونه النبي صلى الله عليه وسلم، وخرج عليه الصلاة والسلام من بينهم وهو يقرأ أول سورة (يس) إلى قوله: ((وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)) [2]

(١) سورة الأنفال آية:٣٠.
(٢) سورة يس آية:٩.

وأعمى الله أبصارهم عنه، وأخذ حفْنَة من تراب وذرَّها على رؤوسهم وذهب حيث شاء الله، ثم اختفى نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبو بكر في غار في جبل النور، فلحقتهم قريش حتى وصَلُوا إلى الغار فصرف الله أبصارهم عنه، وقال أبو بكر: لو أن أحدهم نظر موضع قدميه لأبصرنا، فقال نبي الله: {ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إنَّ الله معنا}[1]، وأخرجت قريش مائة ناقة لمن يرد النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، وبقي عليه الصلاة والسلام وصاحبه في الغار ثلاث ليال يأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخبار وأخته أسماء بالطعام، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر بالغنم ليشربا من ألبانها وليمسح أثر عبدالله وأسماء، فلما كفّ الطلب، أحضر عبدالله ابن أريقط راحلتيهما، فأبى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يركب إلاَّ بالثمن، واشترى راحلته من أبي بكر، وهاجرا إلى المدينة معهما الخادم والدليل، فأخبر بهما سراقة بن مالك، فطمع في المائة الناقة التي أخرجتها قريش فلحق بهما فلما رآهما عثرت فرسه وذهبت يداها في الأرض وسقط عنها فأصلح شأنه ولحق بهما فحال دونه إعصار من دخان فعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم منه فنادى سراقة النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه كتاباً يكون آية بينهما فأعطاه أبو بكر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٣٦٥٣)، ومسلم في صحيحه: رقم (٢٣٨١).

كتاباً.

ولم تعلم قريش بوجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبل رجل من الجن في أسواق مكة يسمع صوته ولا يُرى يقول:

جزى الله ربّ الناس خير جزائه رفيقين حلّا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر ثم تروّحـــــــــا فأفلح من أمسى رفيق محمد

ليهن بني كعب مكانُ فتاتهــم ومقعدها للمؤمنين بمرصد

فعلموا وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم عند أم معبد طعاماً؛ لأن السَّنة كانت مجدبة فرأى شاة أقعدها الهزال عن الغنم فاستأذنها في حلبها، فمسح بيده المباركة ضرعها وسمى الله تعالى ودعا، فأسقى أم معبد وصاحبه ومن معه، وشرب هو آخرهم عليه الصلاة والسلام، وكان الأنصار لما سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرجون كلّ يوم لاستقباله، فإذا اشتد الحر دخلوا فقدم عليه الصلاة والسلام وقد دخل الأنصار منازلهم في الظهيرة فرآه رجلٌ من يهود فصاح بالأنصار: جاء جدّكم فوجدوه في ظل نخلة مع أبي بكر ولم يعرفوه حتى انقطع الظل وأخذ أبو بكر يظلله بردائه وكان ذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، وأسس عليه الصلاة والسلام مسجد قباء، وفي يوم الجمعة أمر بالرحيل إلى المدينة فكلما مرَّ بحي من الأنصار طلبوا منه النزول عندهم ويأخذون بزمام

ناقته فيقول: دعوها فإنها مأمورة، وصلّى الجمعة في بني سالم بن عوف من بني النجار، وهي أول جمعة صلاها عليه الصلاة والسلام في المدينة، فانطلقت الناقة برسول الله صلى الله عليه وسلم فبركت في مكان مسجده، وكان يومئذٍ مربداً ليتيمين من بني النجار فاشتراه من وليهما وبنى فيه المسجد، عمل فيه بيده ومعه المهاجرون والأنصار، ونزل عند أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري حتى بنى مساكنه.

ثم آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، فقال: (تآخوا في الله أخوين أخوين)، فآخى كلّ رجل من المهاجرين أخاً له من الأنصار.

وكتب عليه الصلاة والسلام عهداً بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم، فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار استحكم أمر الإسلام فقامت الصلاة وشرع الأذان وفرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام وتتابع التشريع وفرض الجهاد وتتابعت الغزوات والسرايا والفتوحات.

فبلَّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رسالة ربِّه وهيأ أصحابه لتحمّل أمانتها وتبليغها للخلق في جميع المعمورة ثم اختاره الله إلى الرفيق الأعلى، بعد أن مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً وفي المدينة عشرة أعوام كلها دعوة وتبليغ وجد وجهاد

وصبر وكفاح، استمرت فيها الصلة بين الأرض والسماء وبين التصورات الصاعدة وبين الرسالة النازلة، بين البشر وبين الملأ الأعلى تحولت فيها تصورات البشر وعاداتهم وعباداتهم، وكوّن أُمَّة في أعلى المستويات مهيأة لقبض زمام القيادة وصالحة لأن تكون خير أُمَّة أخرجت للناس أُمَّة وسطاً شهداء على الناس في تلك الفترة القصيرة بثلاث وعشرين ما كان ذلك إلاَّ بالرسالة التي تحيطها عناية الله وتمدها قدرة الله وترعاها عين الله وتحركها يد الله فكان دستورهم القرآن وأخلاقهم وسلوكهم هدي محمد صلى الله عليه وسلم يستمدون نظم حياتهم من الوحي لا من الهوى، وساروا على نظام السماء لا على نظام الجاهلية والغوى، فقامت المعالم في الأرض واضحة جليّة لا يغطيها هوى ولا ينقصها طول زمان ولا يعظمها طغيان والحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وصلَّى الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمد وآله أصحابه وسلّم أجمعين.

العام الهجري الجديد [1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة وأفضل وأتم التسليم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وعلى الداعين بدعوته والمهتدين بهديه إلى يوم الدين أما بعد:

أقول وبالله التوفيق ومنه وحده نستمد العون والمدد.

فإن الإنسان المؤمن ليتطلع بقلبه وروحه إلى ما يسمو به في هذه الدار، وغداً في دار القرار، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كانت هجرته من مكة إلى المدينة انطلاقة خير وبركة عمّت أنوارها كل البقاع ورفرفت راياتها حتى وصلت إلى مشارق الأرض ومغاربها، فعندما ضيق المشركون في مكة السبل على الدعوة وعلى الداعية الأول محمد ابن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، فتّش عن سبيل آخر فذهب إلى الطائف ولكن دون جدوى، وكانت بعدها بيعة

---

(١) هذا جواب سؤال ورد من صحيفة عكاظ ونصه (ما الذي تتطلع إليه مع العام الهجري الجديد) بتاريخ ١٤١٩/١/١هـ

العقبة الأولى والثانية التي كانت إيذاناً بفتح باب جديد لدعوة الإسلام ونبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه، ثم ذهب مصعب بن عمير إلى المدينة وكانت تسمى يثرب، فلم يترك بيتاً إلا وأدخل إليه القرآن، وكان وزيراه في دعوة الناس إلى الإسلام فيها أسعد بن زرارة، وابن خالته سيد الأوس سعد بن معاذ، فتح الله تبارك تعالى المدينة بالقرآن ورأي النبي صلى الله عليه وسلم فيما يراه النائم رؤيا الخير والبركة، فحدّث أصحابه بها وقال: {قد أريت دار هجرتكم؛ رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين}[1] فهاجر المسلمون، وكان أول من عمل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة؛ هو بناء المسجد، المؤاخاة بين المسلمين، وكيف لا يكون ذلك والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يقول {من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة، بني الله له بيتاً في الجنة}[2] ويقول عليه الصلاة والسلام: {المسلم أخو المسلم}[3] ويقول صلوات الله وسلامه عليه: {مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم. مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٢٢٩٧).
(٢) رواه ابن ماجة في سننه: رقم (٧٣٨)، وابن خزيمة في صحيحه: رقم (١٢٩٢).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٢٤٤٢)، ومسلم في صحيحه: رقم (٢٥٨٠).

والحمى}[1] ويقول ربنا تبارك وتعالى في محكم تنزيله: ((إنما المؤمنون إخوة)) [2] ويقول سبحانه وتعالى: ((واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا)) [3] وحَّدت الهجرة ودعوة الإسلام بين الأوس والخزرج وكانت يهود والحروب تفرّق بينهم، ووحَّدت بين المهاجرين والأنصار، وكان التآخي بين المهاجر والمهاجر، والمهاجر والأنصاري، والأنصاري مع الأنصاري أيضاً، فأصبح المسلمون كالجسد الواحد، وزالت الضغائن والأحقاد، واختفت الثارات القبلية، وزالت أيضاً الفروق العرقية، حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم عن سلمان الفارسي {سلمان منّا أهل البيت}[4] وقال عند ماء المريسيع بعدها، لما قال قائلهم يا للمهاجرين، وقال الآخر يا للأنصار، وسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: {دعوها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٦٠١١).
(٢) سورة الحجرات آية: ١٠.
(٣) سورة آل عمران آية: ١٠٣.
(٤) رواه الحاكم في المستدرك:٣/٥٩٨. قال الهيثمي في المجمع:٦/١٣٠ رواه الطبراني وفيه كثير بن عبد الله المزني وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه، وبقية رجاله ثقات.

فإنها منتنة}[1] هذا ما نستوحيه من مطلع كل عام هجري جديد، وشمس الإسلام تسطع على أرضنا، وتشرق أنوارها على قلوبنا، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا {تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بها كتاب الله وسنتي}[2] فالإسلام بحمد الله تبارك وتعالى تجري دماؤه حرّة في عروقنا، والتوحيد تخفق به قلوبنا، ولا إله إلا الله محمد رسول الله هي شعارنا ورايتنا، ونتطلع مع مطلع هذا العام الهجري الجديد؛ إلى ما يوحّد راية الإسلام والمسلمين، ويعزّ كلمتهم، فيخرجون من الذل وتسلّط أعدائهم عليهم، نتطلع لرفع الظلم عن المستضعفين من المسلمين في كشمير وغيرها من بلاد الإسلام، وتوحيد كلمة المسلمين تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونبذ التهاجر والتخاصم والاعتصام بحبل الله المتين.

قال الله عز وجل: ((واعتصموا بحل الله جميعا ولا تفرقوا)) [3]

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه: رقم (٥٩٩٠)
(٢) رواه الحاكم المستدرك: ١/٩٣
(٣) سورة آل عمران آية: ١٠٣.

وقال تبارك وتعالى: ((ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)) [1]

نتطلع إلى وحدة كلمة المسلمين في كل أقطارهم وانطوائهم تحت راية لا إله إلا الله محمد سول الله، التي هي رمز عزّهم وفخارهم. والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الأنفال آية:٤٦.

ارتباط الأحكام الشرعية بالتاريخ الهجري

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فسبحان مسخر الليل والنهار، وسخر الشمس والقمر.

والحمد لله الذي هدانا للإسلام، ومنَّ علينا باتباع خير البشر محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

والحمد لله الذي كرمنا وفضلنا على كثير من المخلوقات.

الحمد لله الذي جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وجعل للأنفس آجالاً محتومة، فلولا هذه الآجال لضاقت الأرض بسكّانها.

أخي القارئ: ودَّعنا عاماً مضى وطويت صحائفه بما فيها من أعمال بني آدم، من حسنات وسيئات، ومن حسنٍ وقبيح، واستقبلنا عاماً جديداً لا زالت صحائفه ناصعة البياض يسطر فيها أعمال كلّ فرد وأقواله، فتأمل أخي القارئ في أفعالك وحاسب نفسك على أقوالك: ((مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ))[1] سبحان الحي القيوم بمرور الليالي والأيام تنقضي الآجال، وبتعاقب الليل والنهار يسير المرء إلى الآخرة، والإنسان

(١) سورة فصلت آية:٤٦.

في هذه الحياة مسافر على مطايا الزمن يوشك أن يصل إلى المستقر.
فيجب علينا أن نأخذ من الماضي عِبراً ومواعظ، وتعليماً ودروساً وتربية.
يجب على الأمَّة المسلمة أن تفطن لما يراد بها وأن تقابل الأفعال بالأقوال، يجب على الأمَّة المسلمة أن تتلافى الأخطاء التي فرضت في عصرها.
وبهذه المناسبة: يسرني أن أتكلم عن ارتباط الأحكام الشرعية بالتاريخ الهجري بإيجاز.
إنَّ هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة تحوُّل كبير في الدعوة وتبليغ الرسالة وقوة ومنعة للمسلمين.
والتاريخ الهجري يمتاز بأنه يعتمد على الأشهر القمرية ولها علامات ظاهرة يعرفها كلّ أحد: ((وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ))[1].
وتتعلق بالتاريخ الهجري والأشهر القمرية: أحكام شرعية، مثل الصيام والحجّ، والعِدد، والرضاعة، ومدة الإيلاء.
فارتباط المسلم بالتاريخ الهجري وثيق، وعلاقته به علاقة دين، ومهما تعلق الناس بالتاريخ الميلادي فإن المسلم لابد له من التاريخ الهجري.
وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم والتابعون رحمهم الله ومن بعدهم إلى يومنا

---

(١) سورة يس آية:٣٩.

هذا أن السنة الهجرية تبدأ من شهر المحرم وتنتهي بنهاية شهر ذي الحجة، وإن كانوا اختلفوا في خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة يوم الهجرة، فقد جرى التاريخ الهجري على ما اتفقوا عليه.

وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المدرسة الأولى

الحمد له رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وبعد؛

فإن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المدرسة الأولى تخرج منها عظماء الأمة وسدادتها وقادتها، أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر توقيفي، وحددت قبلته شطر المسجد الحرام؛ رفعت الكعبة للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تحويل القبلة إليها ووجّه القبلة عليها.

أسسه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على التقوى من أول يوم، وجعله جامعة إسلامية تبلّغ وحي الله وتعلم الهدى والنور، وتنشر العدل والإيمان، وتدعو إلى الله على بصيرة؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

فمنه انطلق المجاهدون والدعاة والجيوش الإسلامية؛ لتعليم البشر، وبسط العدل ورفع الظلم وربط المخلوق بالخالق وإزالة غشاوة الجاهلية وتلبيسات إبليس وأعوانه.

وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من مكة بإذن الله ورعايته وحراسته، مهاجراً إلى المدينة فاستقبله الأنصار رضي الله عنهم، ونزل عليه

الصلاة والسلام والصديق ومن معهما في قباء أياماً ثم ركب ناقته، وكلما مرّ بحي من أحياء الأنصار طلبوا منه عليه الصلاة والسلام النزول عندهم في العدد والعدّة والمنعة، ويأخذون بزمام الناقة تعبيراً عن الرغبة الأكيدة في طلب النزول عندهم، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها فأنها مأمورة. حتى وصلت إلى مكان المسجد النبوي الشريف؛ فبركت فيه، ثم التفتت يمينا وشمالا وتزحزحت وغيرت مكانها ثم رجعت إليه وألقت بجرانها على الأرض ايذاناً بأن هذا المكان الذي أمرت بالنزول فيه، وكان المكان مربداً- أي مكان تشميس المحصول الزراعي- لغلامين مات أبوهما، تحت كفالة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، فاشتراه صلى الله عليه وسلم ونزل في بيت أبي أيوب حتى بنى حجرات أمهات المؤمنين، وأسس عليه أفضل الصلاة والتسليم مسجده وساعد في بنائه، فبنى الحائط الذي جهة البيت المقدس في الشام؛ لأن القبلة لم تحول بعد، وحجر عليه بقية الجهات بالحجارة وجذوع النخل، وصاروا يصلون فيه مكشوفاً، وقبل تحجير المسجد كان بني الرحمة صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون والأنصار يصلون في مرابض الغنم، فلما اشتد الحر، سُقّف بجريد النخل وشجر الأذخر، وجعلت أعمدته من جذوع النخل، واستؤذن صلى الله عليه وسلم

في بنائه فقال عريش كعريش أخي موسى، واستمرت القبلة جهة بيت المقدس ستة أو سبعة عشر شهراً.

وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن تحول القبلة إلى الكعبة المشرفة؛ لأن فيها مناسك الحج والعمرة؛ ولأنها بيت الله بناه خليله إبراهيم عليه السلام، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ((قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ))[1] فتوجه صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة المشرفة، وتوجه إليه المسلمون، فلما جاء المطر خرّ المسجد على المصلين، فقال الرحيم بأمته فلعمرَ أكنّ الناس عن المطر وإياك أن تحمّر وتصفر فتفتن الناس، فبنيت حيطانه من اللبن، وبقيت أعمدته من جذوع النخل، وسقف بالجريد والأذخر، وجعل على السقف شيء من الطين، وارتفاع السقف تلحقه يد الواقف، وبقي شمالي المسجد مكشوفاً.

(١) سورة البقرة آية: ١٤٤.

وكان طول المسجد جنوباً وشمالاً سبعين ذراعاً، وعرضه ستين ذراعاً بذراع اليد.

وبعد فتح خيبر كثر المصلون فزاد فيه صلى الله عليه وسلم من الشمال والغرب، أرض اشتراها عثمان رضي الله عنه.

ولم يكن في المسجد منبراً، إنما كان عليه الصلاة والسلام إذا كان هناك أمر مهم التبليغ، وقف وأسند قفاه إلى جذع نخلة هناك.

ثم أذن في تصميم منبر من أعواد الطرفاء ثلاث درجات، فكان يخطب عليه ليراه الناس وليكون أندى للصوت.

والمسجد النبوي لمكانته الإسلامية، والمساجد عموماً بيوت الله، أذن سبحانه بتنظيفها وتطهيرها، ورفع شأنها وعمارتها حساً ومعنى، تتعلق بها القلوب المؤمنة، فتناجي ربها وتعبده ركوعاً وسجوداً وتعظيماً وتقديساً وتوحيداً وتسبيحاً.

ويتميز المسجد النبوي عن غيره بأن ما بين المنبر والحجرة النبوية روضة من رياض الجنة، وأن المنبر على ترعة من الحوض المورود، وأن الصلاة فيه يعدل

فضلها؛ ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فمائة ألف صلاة.
والمسجد الأقصى خمسمائة صلاة في الفضيلة دون الأجزاء، فعن عبدالله بن زيد المازني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال {ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة}[1]

ولا يعذر أحد من أهل الكتاب في تجاهل نبوّته وجحد رسالته؛ فإن صفته صلى الله عليه وسلم موضحة في التوراة والإنجيل، وبشر به عيسى عليه السلام، روى الإمام أحمد عن رجل من الأعراب صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغت من بيعي، قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعنّ منه، قال فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يعزّي بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي فقال برأسه هكذا أي لا، فقال ابنه والذي أنزل التوراة إنّا لنجد كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١١٩٥)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٣٩١)

إلا الله وأشهد أنك رسول الله، فقال اقيموا اليهودي عن أخيكم ثم تولى كفتنه والصلاة عليه، والقاعدة الأساسية للرسالة وعليها مدار التكليف هي: كلمة الإخلاص، لها نفوذ في القلوب وتهز الجمادات. ذكر ابن كثير في التفسير: أن هشام بن العاص ومن معه لما وقفوا على غرفة هرقل الخاصة قالوا لا اله الا الله والله أكبر، فانتفضت الغرفة[1]

والمعروف ما عرفة الشرع، والنكرة ما أنكره الدين، فأمر صلى الله عليه وسلم بخلع الأنداد، ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام، ونهى عن عبادة الأصنام وقطع الأرحام، وأحل الطيبات التي فيها نفع بلا ضرر وفيها خير بلا شر، وحرم الخبائث التي إثمها أكبر من نفعها وشرها أكثر من خيرها مثل الربا والخمر والميسر والزنا واللواط والظلم وأكل أموال الناس بالباطل والخنزير والميتة، وما أهل لغير الله به، ونحو ذلك.

ودين الإسلام يسر وسماحة فلا أغلال ولا آصار، وكان بنو إسرائيل كلفوا بقطع ما أصابه البول ولا يطهر بالغَسْل، وحرمت عليهم الغنائم، وأحل لهم

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢/٤٠٠.

من الشحم ما سهل أخذه مثل الألية وما على الظهر وشحم البطن ومخ الساق، وحرم عليهم ما صعب أخذه، وإذا حاضت المرأة لا يجالسونها ولا يؤكلونها حتى تطهر، ومن تاب من معصية لا تقبل توبته حتى يقتل نفسه، فمن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم دخل في سماحة دينه؛ توضع عنه الآصار والأغلال ومشقة التكليف، ((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا))[1]

{إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه}[2]

{إن الله تعالى وضع عن أمتي الخطأ والنسيان}[3]

لم يكن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مفروشاً، وإنما كان الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة يصلون على الأرض العادية.

فلما خرّ المطر صارت الأرض طيناً ووحلاً لا يمكن السجود عليها، فأخذ بعض الصحابة ينقل الحصباء ويضعه في المكان الذي يرد أن يصلي فيه، فاستحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا العمل، فأذِن بفرش المسجد

---

(١) سورة البقرة آية:٢٨٦.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٧٢٨٨)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٣٣٧)
(٣) حديث رواه ابن ماجة في سننه: رقم (٢٠٤٥).

كله بالحصباء ــ وهي حجارة صغيرة مختلفة الأحجام تؤخذ من مجاري السيول ــ.

سبق أن قلتُ إن طول المسجد ٧٠×٦٠ ذراعاً، وأنه زاد المسجد بعد فتح خيبر، فقد يسأل سائل، مادام أن المسجد كان مربداً فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله مسجدا فمن أين زيد؟

قال المؤرخون لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر وكثر المسلمون ضاق المسجد، وكان بجانب المسجد أرض لرجل من الأنصار، فقال عليه الصلاة والسلام من يشتري هذه البقعة ويوسع بها المسجد وله مثلها في الجنة، فقال عثمان رضي الله عنه أنا يا رسول الله فاشتراها بعشرة آلاف درهم، وباعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيت في الجنة، وذلك في السنة السابعة من الهجرة النبوية.

ولم يكن في ذلك الزمن وسائل إنارة إلا الحطب والسُّعف، فكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينار بسعف النخل عند الحاجة.

فقدِم أبو رقيّة تميم بن أوس الداري رضي الله عنه، ومعه قناديل وزيت، فعلقها في المسجد وأنار بها، فقال عليه الصلاة والسلام لتميم نوّرت مسجدنا نور الله عليه، وكان الذي علقها وأوقدها غلام لتميم اسمه فتح، فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم سراجا.

قال بعض المؤرخين وكان قدوم تميم سنة تسع من الهجرة.

في هذا المسجد المتواضع الذي يلائم الفطر السليمة، التي لا تكلّفَ فيها ولا عناء: جدرانه من اللَّبِنْ، وسواريه من جذوع النخل، وسقفه من السعف والإذخر، والأرضية طين، ثم حصباء، ويوقد بالسعف ثم بقناديل الزيت؛ إنه سماحة لا تكلّف فيها، سلا الروح رغبة وزهداً في الدنيا وإقبالاً على الآخرة، ومن هذا المكان الموصوف تنزل الملائكة والروح، وتنزل الرحمة والسكينة والوقار والوحي من السماء، نوراً يزيل ويضيء ما بين الأرض والسماء، فشعّ نور الإيمان على الأرض كلها فملأها علماً وعدلاً وأخلاقاً وقوة وشجاعة.

فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الحادية عشرة من الهجرة؛ بويع أبو بكر بالخلافة واشتغل بحروب أهل الردة وبإصلاح فساد بعض الناس

بعد وفاة الصفوة المطهر صلى الله عليه وسلم، فلم يكن عنده فرصة لتوسعة المسجد، إلا أن غيّر أعمدته لـمّا أكلها دابة الأرض بمثلها من جذوع النخل.

وبعد وفاة الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه بايع المسلمون عمر بالخلافة، وكثر المسلمون في المدينة وضاق بهم المسجد فطلب أعيانهم من أمير لمؤمنين عمر بن الخطاب ضي الله عنه توسعة المسجد، فقال رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {ينبغي أن يزاد في المسجد} فزاد فيه من الجنوب مقدار أسطوانة، ومن الغرب مقدار أسطوانة، ومن الشمال حوالي ثلاثين ذراعاً، وأعاد بناءه على التي كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال رضي الله عنه (لو انتهى إلى الجبانة لكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم).

اشترى عمر رضي الله عنه بعض المجاورة للمسجد، وبعضها تبرع به ملاكها.

قال بعض المؤرخين ومن الدور التي أدخلها عمر رضي الله عنه في المسجد؛ دار العباس بن عبد المطلب، ودار أبي بكر الصديق، ودار جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم، ثم إن عمر رضي الله عنه فرش المسجد بالحُصُر، وهذه أول مرة يفرش فيها المسجد النبوي، وقبل ذلك كان مفروشاً بالحصباء.

ولما ولي أمير المؤمنين عثمان بن عفان الخلافة سنة ٢٤ من الهجرة؛ كانت سواري المسجد قد ابتدأ فيها الخلل، وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم {من بنى لله مسجد يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة}[١]

كما أن المسجد ضاق بالمصلين في يوم الجمعة، فصاروا يصلون في الرحاب حول المسجد، فوسع المسجد سنة ٢٧ من الهجرة، أو سنة ٢٩ على اختلاف فيما نقله المؤرخون، فزاده من القبلة ومن جهة الغرب والشمال، واختلف المؤرخون في مقدار الزيادة، فصار طول المسجد شمالا وجنوباً ١٦٩ وعرضه ١٣٠ ذراعاً، والذراع حسب العرف نصف متر.

وبقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فتح باب الفتنة والخلاف والشقاق، وجد أعداء المسلمين للدّس بينهم.

فلما بويع عليّ رضي الله عنه بالخلافة سنة ٣٦ من الهجرة كانت تلك الفترة مملؤة بالفتن والملاحم، ولم يَرِد في المسجد شيئاً رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٤٥٠).

وفي ولاية الوليد بن عبدالملك رحمه الله رأى أن المسجد يحتاج إلى توسعة فأمر عامله على المدينة الرجل الصالح العابد الزاهد العادل عمر بن عبدالعزيز بشراء الدور التي حول المسجد وتوسعته بها، فزاده من الشرق عشرة أمتار ومن الغرب تسعة أمتار، وجعل بين الحجرة النبوية وبين جدار المسجد الخارجي ممراً، وأعاد عمر بن عبدالعزيز بأمر الوليد عمارة المسجد فكانت بنايته قوية متينة، وجعل في القبلة محراب علامة للتجاه القبلة، ومن أجل أن الإمام يسجد فيه.

وجعل عمر بن عبدالعزيز للمسجد أربع منارات يؤذن فيها المؤذن ليبلغ صوته أطراف المدينة.

وفي عهد المهدي بن المنصور العباسي حج سنة ١٦٠ هجرية فرأى حاجة المسجد إلى التوسعة لكثرة المصلين، فاشترى الدور التي حول المسجد من الجهة الشمالية فأدخلها المسجد، وذلك في سنة ١٦١من الهجرة، وجعل للمسجد ٢٤ باباً، ثمانية من الجهة الغربية، وثمانية من الجهة الشرقية، وأربعة من الجهة الشمالية، وذكر بعض المؤرخين أن زيادة المهدي مائة ذراع شمالاً وجنوباً، على عرض المسجد شرقاً وغرباً.

وفي سنة ٦٥٤هـ دخل خازن معدان المسجد: المستودع لإخراج قناديل من أجل رمضان ونسي السراج فوق صندوق من خشب ومواد سريعة الاحتراق، فاشتعلت فيها النار، وحاولوا اطفائها فمرت على سقف المسجد كله، فعمره الخليفة العباسي المعتصم بالله سنة ٦٥٦هـ، وفي عام ٨٨٦هـ احترق المسجد مرة ثانية فمعره السلطان أشرف قايتباي.

وفي ولاية السلطان عبدلمجيد زاد في المسجد في الجهة الشمالية ١٢ متراً، وأعاد بناء المسجد، وجعل سقفه قبباً تقوم على الأعمدة.

وفي العصر المبارك عهد الملك عبدالعزيز آل سعود وجه اهتمامه ـ غفر الله له ولوالديه وذريته ولجميع المسلمين ـ وعنايته إلى الحرمين الشريفين، لحفظ الأمن فيهما، وتوفير الرخاء والمحافظة على كرامة المقيمين فيهما، وحفظ قدسية الحرمين المطهرين، وإظهارهما بالمظهر اللائق، ففي عام ١٣٤٨هـ أجرى إصلاحات في أروقة المسجد والسواري، محافظة على سلامتها وأداء وظيفتها، وفي عام ١٣٥٤هـ أجرى ترميمات وإصلاحات وتحسينات في المسجد النبوي.

وفي عام١٣٦٨هـ أعلن الملك عبدالعزيز ـ غفر الله وأجزل له الثواب ـ عزمه على توسعة المسجد النبوي، وفي شهر الفطر سنة ١٣٧٠هـ ابتدأ العمل في

نزع ملكيات الدور القريبة من المسجد من أربع الجهات، وهدمت ووكل الملك عبدالعزيز ابنه سعود ــ رحمه الله، وكان ولي عهد، وتولى الملك بعده ــ على تولي عمارة المسجد، وجعل شوارع واسعة من أربع الجهات.

وفي عام ١٣٧٣هـ وضع حجر الأساس للعمارة، وأضاف إلى المسجد مساحة ستة آلاف متر وأربعة وعشرين متراً (٦٠٢٤م٢).

وتناولت العمارة السعودية هدم بعض الأروقة وإعادة بنائها مع التوسعة في عام ١٣٧٣هـ، وبقي مقدم المسجد على ما كان عليه في عهد السلطان عبدالمجيد؛ لأنها جيدة، وصالحة للبقاء، فيكون مجموع العمارة السعودية اثني عشر ألفاً ومائتين وواحد وسبعين مترا مربعا، وصار للعمارة السعودية نموذجا حيّاً لفنّ العمارة الحديثة؛ قوة ومتانة وجمالا.

وكانت العمارة السعودية بالمسلح والمزايكو والرخام الجميل.

وصارت مساحة المسجد النبوي بعد التوسعة السعودية الأولى (١٦٣٦٦م٢)

وطول الجدار الشرقي ١٢٨ متراً، والغربي ١٢٨ متراً، وطول الجدار الشمالي ٩١م، وزيد في أبوابه.

أما توسعة خادم الحرمين الشريفين فيقف القلم عندها؛ لأنه لا يستطيع أن يوفيها حقها من كل النواحي، ولكن أشير إلى بعض الأمور الهامة.

وجه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية اهتمامه وعنايته لخدمة الحرمين الشريفين، ولذلك أخذ لقب (خادم الحرمين الشريفين) فكان ـ أطال الله في حياته ـ يتفقد المشاعر المقدسة بنفسه، ويتابع حركات الحجاج، ويطّلع على خطوط سيرهم، وأماكن إقامتهم، ومواضع صلواتهم، فيعمل ما يحقق راحتهم ويوفر لهم الجهد، ويرفع عنهم المشقة، ويسهل مناسكهم والأماكن المقدسة في مكة المشرفة، وفي عرفات ومزدلفة ومِنى، وفي المدينة المنورة، وفي ميقات ذي الحليفة، وقباء والقبلتين، وتوسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي.

هذه المشاريع الضخمة وهذه الإنجازات الجبارة تفصح عن اهتمام الملك فهد بن عبدالعزيز بالحرمين الشريفين والبقاع المقدسة والمشاعر المطهرة، ومدى حرصه على راحة الحجاج والزوار والمصلين. وصدق الله العظيم

((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ))[1].

إنني لا أستطيع أن أصف توسعة خادم الحرمين للمسجد النبوي الشريف؛ قوة ومتانة وعناية وجمالاً وتنظيماً ولكن اذكر بعض ما اطلعت عليه من الأمور التي يستفيد القارىء من مطالعتها.

مساحة التوسعة الأرضية اثنان وثمانون ألف متراً مربعاً، فيكون اجمالي مساحة أرض المسجد الأول مع التوسعة الأخيرة ١٦٥٠٠+٨٢٠٠٠= ٩٨٥٠٠ ثمانية وتسعون ألفاً وخمسمائة متراً مربعاً، وستجهز الساحات المحيطة بالمسجد للصلاة فيها عند الحاجة، وتتسع لأعداد كبيرة في المسجد والساحات قدّرت بمليون مصلٍ، وجهز المسجد كله الأول والأخير بما فيه راحة المصلين وسلامتهم وصحتهم، فجعل فيها تكييف عمومي، ومراوح للتبريد والدفع في أصول الأعمدة، ومراوح لإعادة الشفط في أعلى الجدران الخارجية، وهيء السطح للصلاة، وجعل سلالم كهربائية وعادية ومواقف سيارات ودورات مياه: مغاسل ومسابح ومواضيء وحمامات، ولوحظت التهوية فجعل في السقف فتحات لها أغطية متحركة تفتح وتقفل بالكهرباء عند الحاجة. والحمد لله على هذه الخدمات والإنجازات الكبيرة.

---

(١) سورة التوبة آية:١٨.

تحويل القبلة[1]

يقول الله تبارك وتعالى: ((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ))[2]

لما حُوِّلت القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام في مكة المكرمة، قال السفهاء من الناس –وهم اليهود– ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، يقصدون بذلك التشويش على المسلمين وبلبلة الأفكار والصد عن دين الحق، وإلاَّ فاليهود يعرفون أن الرسول صلى الله عليه وسلم مُرسل من ربّه، وأن ما جاء به هو الحق، قال سبحانه: ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ))[3]

فردَّ الله تعالى على مقالتهم وبيَّن أن الكعبة أحق بأن تجعل القبلة؛ لأنها أول بيت وضع للناس لعبادة الخالق تعالى عنده، وهي أول بيت وضعت فيه البركة

---

(١) هذا هو الحديث الرابع الذي كتبه الشيخ عبدالله ، والثلاثة التي قبله ستأتي في أعمال الحج في ترتيبها ص٩٠، ٩٨، ١٠٥.

(٢) سورة آل عمران آية:٩٦، ٩٧.

(٣) سورة البقرة آية: ١٤٦.

وفيه من المزايا والخصوصيات ما ليس في غيره، فليس بيت المقدس بأفضل منه، وأيضاً المُلْك والأمر كله لله، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فمقالة اليهود مردودة عليهم، وأيضاً يقول اليهود في زعمهم: أنهم على دين إبراهيم عليه السلام، وأنهم أولى بإبراهيم، فردَّ الله عليهم وكذَّبهم وتحدَّاهم، فأخبرهم بأن الكعبة المشرفة بناها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإذا كان زعمهم بأنهم أولى بإبراهيم صحيحاً فاتبعوا مِلَّة إبراهيم، فكان يحجُّ البيتَ الحرام فلمَ لا يحجُّونه، ولكن اليهود طبيعتهم وصفتهم اللازمة لهم هي الكذب والافتراء والتشكيك والخداع والمراوغة والكفر والطغيان والمكر والبهتان.

ومن خصوصيات البيت الحرام وفضله على ما سواه ما يلي:

١- أن الذي أمر ببنائه هو الله ربّ السموات والأرضين، وأن المهندس المخطط له هو جبريل عليه السلام، والمهندس المنفذ له هو إبراهيم الخليل عليه السلام والمهندس المساعد هو إسماعيل عليه السلام.

٢- أول بيت وضع لعبادة الله تعالى، وأول بيت وضعت فيه البركة.

٣- فيه علامات واضحات ثابتات على فضله وقدسيته وحرمته، مقام إبراهيم الحجر الذي كان يرقى عليه لبناء الكعبة، وآثار قدميه فيه، وآثار عبادته في عرفات ومزدلفة ومنى والجمار، والمناسك كلها آيات بينات.

٤- من دخله كان آمناً، إذا دخله الخائف يأمن من كلّ سوء، وحَرُم قتل

صيدها وقطع شجرها، ومنع الإلحاد فيها، حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض.

والحجّ فرض عين على كلّ مسلم مُكلَّف يستطيع إليه سبيلاً في العُمر مرَّة واحدة، وبفريضة الحجّ وتطبيقه من رسول الهدى ونبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، أكمل الله للأمَّة الإسلامية دينها، وتمت عليها نعمة ربها: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا))[1]

والحجّ ركن من أركان الإسلام وقاعدة من قواعده التي يقوم عليها، قال نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم: {بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً}[2]، والسبيل: كلّ ما يساعد على الوصول إلى البيت الحرام، من الزاد والراحلة وأمن الطريق وتزيد المرأة وجود المحرم الذي يصحبها في سفرها.

والاستطاعة شرط للوجوب، فمتى استطاع المسلم السبيل إلى البيت وجب عليه الحجّ، وصار ديناً في ذمته ينبغي المبادرة في قضائه، فإنه لا يدري ما يعرض له،

---

(١) سورة المائدة آية:٣.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٨)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٦)

ولا يلزم الإنسان أن يستدين ليحجّ، ولا أن يقترض ولا أن يسأل الناس مساعدته من أموالهم ليحجّ، فالمسلم عزيز النفس كريم الخلق، والدَّين همٌّ وذلٌّ، والمسألة مسكنة وحقران.

ويجب على من أراد الحجّ أن يختار النفقة الحلال، فإن الله طيب لا يقبل إلاَّ طيباً، والمال الحرام خبيث، وسواء كان مكتسباً من الرِّبا، أو من القمار، أو السرقة، أو الاختلاس، أو الخيانة، أو الغصب، أو الرشوة، أو الغش، أو البيوع المحرمة. كل ذلك حرام وخبيث.

قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: {إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلاَّ طيباً وإنَّ الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ))[1] ، وقال تعالى:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ))[2] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يده إلى السماء: يا ربّ، يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنى يُستجاب له}[3]، أي لا يستجاب له.

---

(١) سورة المؤمنون آية:٥١.
(٢) سورة البقرة آية: ١٧٢.
(٣) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٠١٥).

فالمال الحرام سبب لمنع استجابة الدعاء وإن توفرت أسباب الاستجابة الأخرى، فإن السفر وتواضع الهيئة ومدّ اليد إلى السماء، والإلحاح في الدعاء بصفة الربوبية كلّ واحدة منها سبب لاستجابة الدعاء، ولكن الحرام والكسب الخبيث صار سبباً لعدم الاستجابة.

فواجب على من أراد الحجّ أن يختار لنفقته مالاً حلالاً.

الحجّ إنما يجب في العمرة مرَّة واحدة، قال صلى الله عليه وسلم: {يا أيها الناس كُتب عليكم الحجّ}، فقال الأقرع بن حابس: يا رسول الله أفي كلّ عامٍ؟، فقال صلى الله عليه وسلم: {لو قُلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها ولن تستطيعوا أن تعملوا بها، الحجّ مرَّة فمن زاد فهو تطوع}(١)، وقال صلى الله عليه وسلم لنسائه في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: {هَذِهِ ثُمَّ ظُهُورَ الْحُصْرِ}(٢) جميع حصير وهو فراش من خُوص النخل، تفرشه المرأة في بيتها، أي: الزَمْن بيوتكن ولا تخرجكن.

وفي هذا تتجلى سماحة الإسلام، ورحمة الخالق تبارك وتعالى بأمَة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الحجّ هو أشد أركان الإسلام كُلفة ومشقة فأوجبه عليهم

---

(١) رواه أبوداود في سننه: رقم (١٧٢١)، وأحمد في مسنده: رقم (٢٣٠٤).
(٢) رواه أحمد في مسنده:٥/٢١٨، وأبوداود في سننه:٢/٢٣٨.

في العمر مرَّة واحدة وبشرط الاستطاعة.

ولما كان الحجّ فيه مشَّقة الأنفس وتعب الأبدان، ونفقة المال ومفارقة الأهل والولد، كان ثوابه جزيلاً: {الحجّ المبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجَنَّة}[1]، {من حجَّ فلم يرفُث ولم يفسُق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه}[2].

ولكن اليهود يجحدون هذه الفضائل ويكابرون الحقائق ويكْفُرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وينكرون وحي السماء المطهر، فلا يحجُّون بيت الله وهم بذلك إنما يضرون أنفسهم ويهلكون أنفسهم هم وأمثالهم: ((وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ))[3]، فليس لله حاجة في إيمانهم ولا في إسلامهم، ولا في حجِّهم وإنما هم المحتاجون إليه وهم الفقراء إليه كما نزلت الآية: ((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ))[4]، قالت اليهود: نحن مسلمون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: {إنَّ الله فرض الحجّ على المسلمين من استطاع إليه سبيلاً}، فقالوا: لم يفرض

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١٧٧٣)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٣٤٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١٥٢١)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٣٥٠).

(٣) سورة آل عمران آية:٩٧.

(٤) سورة آل عمران آية:٨٥.

علينا، وأبَوْ أن يحجُّوا فقال الله عزَّ وجلَّ: ((وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)) [1][2]

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛؛

---

(١) سورة آل عمران آية:٩٧.

(٢) تفسير القرأن العظيم: ٥٧٨/١.

صفة تغسيل الميت[1]

١- يوضع على السرير المخصص للغسل، ولا يترك على الأرض لئلا يسرع إليه الفساد.

٢- يجهز بالماء فلا يكون حاراً يفسد الجثة، ولا بارداً لا ينقّي، ويجعل في الغسلة الأولى سدر؛ لأن السدر بارد وينظف ويعطي الجثة منعة من الفساد مدة.

٣- تستر عورة الميت من السرة إلى الركبة، ويجرد، ولا يحضره إلاَّ من يعاون على غسله.

٤- يَلُفُ الغاسل على يده لفافة، ويصب عليه الماء شخص آخر، الرجال يغسلون الرجل، والنساء يغسلن المرأة.

٥- ينجّي الغاسلُ الميت وينظفه من الأذى بماء عادي، ويضغط على بطنه ليخرج ما كان متهيأ للخروج، وينوي الغاسل الوضوء، ثم ينوي الغسل عند البدء فيه.

٦- ثم يوَضّأ الميت وضوء الصلاة كالحي: فَيبلّ الغاسلُ أصبعه ويمسح بها أسنانه وشفتيه ومنخريه، وإن كان هناك وسخ أزاله بخرقة، ثم غسل أعضاء الوضوء، ويغير الغاسل الخرقة التي لفَّ بها يده إذا توسخت.

---

(١) كتبها الشيخ عبدالله بتاريخ ١٤١٣/١٠/١١هـ.

٧- يضرب الماء الذي فيه السدر باليد، أي يخلطه جيداً حتى تظهر له رغوة، فيغسل بالرغوة الرأس والوجه، ثم يغسل بالماء والسدر الشقّ الأيمن، ثم الشقّ الأيسر، ويدلِّك الغاسل بالماء الأعضاء وأجزاء الجسم لتنظيفها ويقلِّب الغاسلُ ومن يُعينه الميتَ برفق، ويغسل ظهره بغسله ثلاث غسلات، وإذا زاد إلى خمس فهو أنقى، وإذا لم ينظف فإلى سبع، ويجعل في الغسلة الأخيرة في الماء كافوراً؛ لأنه يطيب الجسم ويشده فلا يسرع إليه الفساد.

٨- إن خرج من الميت وسخ بعد الغسلة الثالثة زاد الغاسل في الغسل ويقطعه على وِتْرٍ، وإن خرجت من الميت نجاسة بعد السبع حُشي المَخرج بقطن، وإن لم يستمسك فيسدُّه بطين حُرٍّ.

٩- يُحنَّط الميت بعد الغسل، فيطيّب أماكن السجود والمفاصل، والمرأة مثل العروس ويجعل في طبقات الكفن شيءٌ من الحنوط، ويجعل بين إليتيه.

١٠- يكفن الرجل في ثلاث لفائف بيض يخالف بين أطرافها.

١١- وتكفَّن المرأة في خمسة أثواب: قميص، ومئزر، وخمار، ولفافة تشد بها فخذيها وبلفافة يديها.

١٢- يضفر شعر المرأة ثلاثة قرون وتسدل من خلفها، ولا يمشط الشعر لئلا يسقط منه شيء، وإنما ينفض ويغسل.

١٣- تربط اللفائف برباط من القماش ويوضع الميت على النعش، ويرفع الغطاء عن جسمها مثل القفص.

١٤- إذا كان الميت مُحرماً لم يتم نسكه فيجنب محظورات الإحرام، فلا يغطى رأسه ولا وجهه ولا يطيب ولا يجعل في كفنه طيباً ولا حنوطاً.

هذا ما تيسَّر، وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

مسجد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فبمناسبة الكلام عن توسعة خادم الحرمين الشريفين للمسجد النبوي الشريف ومدى اهتمامه بالمدينة المنورة وبالقضاء الشرعي.

أحببت أن أقدم بين يدي ذلك موجزاً لتطورات مسجد رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل من قباء راكباً ناقته كان يقول لمن اعترضها دعوها فإنها مأمورة، حتى بركت في موضع مسجده صلى الله عليه وسلم ، وكان مِرْبَداً ليتيمين من بني النجار، تحت ولاية أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه فاشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم المربد وكان فيه نخل فقطعه وفيه قبور فنبشت وجعل الجذوع في مقدمة المسجد جهة بيت المقدس وجعل كتفيه بالحجارة[1]، وبعد أربعة عشر شهراً من الهجرة نزل الوحي من السماء بتحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة كما في سورة البقرة: ((قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

(١) كتفي المسجد.

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ))[1] فتحولت القبلة إلى البيت الحرام، وحدّدت القبلة بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم لإصابة الكعبة المشرفة في الاستقبال.

وكان طوله شمالاً وجنوباً ٧٠ ذراعاً، (بذراع اليد للرجُل المعتدل) وعرضه شرقاً وغرباً ٦٠ ذراعاً (والذراع نصف متر) تقريباً[2]، وكان مكشوفاً، فلما اشتد الحر أذِن صلى الله عليه وسلم في تظليله، وقال(عريش كعريش أخي موسى)، فجُعلت له أعمدة من جذوع النخل وسقّف بالجريد والسعف والأذخر، فلما جاء المطر خرّ عليهم الماء فاستأذنوه عليه الصلاة والسلام في تطيينه فقال: (لا عريش كعريش أخي موسى، والأمر أعجل من ذلك)، فجُعل عليه شيء من الطين، وكان إذا جاء المطر خرّ، وقد سجد صلى الله عليه وسلم صبيحة ٢٧ من رمضان في ماء وطين، فلما فتح الله خيبر زاد في المسجد فجعله ١٠٠×١٠٠ ذراع، وجعل جدرانه من اللّبِن، وكان المنبر جذع نخل فأذِن صلى الله عليه وسلم أن يعمل له منبراً من أعواد الطَّرْفا بثلاث درجات بما فيها

---

(١) سورة البقرة آية:١٤٤.

(٢) الذراع الهاشمي= ٤٤ سنتمتر، كما حدده العلماء.

الجلسة، ذكره البخاري. فلما ترك الجذع حنّ كحنين الطفل؛ لأنه فقد خليل الله صلى الله عليه وسلم وفقد الذِّكر الذي كان يُلقى عليه.

ولم يزد في المسجد في ولاية الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنه اشتغل بالفتح وإخماد نار الردة، ولكن لما نخرت الخشب، فغيرها بمثلها.

فلما تولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة، وكثر الناس طلبوا منه زيادة المسجد فزاد فيه، وقال بعضهم: لو تركوه كما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لولا أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ينبغي أن يُزاد في المسجد)، ما زدت فيه، فزاد فيه وجعل الأعمدة من الخشب وجعل طوله ١٤٠×١٢٠ ذراعاً، وقال: لو انتهى بناؤه إلى الجبَّانة [١] لكان الكل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: (لو زيد في هذا المسجد ما زيد لكان الكل مسجدي).

وفي السنة الرابعة من خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه نخرت الأعمدة الخشب وشكا الناس ضيقه بالمصلين فزاد فيه زيادة كثيرة.

---

(١) الجبّانة: يعني المقبرة- أي البقيع- وقد وصل إليها بتوسعته الأخيرة والحمد لله رب العالمين.

زاد فيه من القبلة إلى الجدار الموجود اليوم وزاد من الغرب بقدر أسطوانة وزاد من الشمال ٥٠ ذراعاً وبنى المسجد فجعل جدرانه بالحجارة المنقوشة والقصَّة (الجص)، وجعل أعمدته من حجارة منقوشة وسقفه بالساج، رواه البخاري[١].

وبقي المسجد كذلك حتى ولاية الوليد بن عبدا لملك، فكان أَمَّرَ على الحرمين الرجل الصالح العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأمره بزيادة المسجد فاشترى عمر الدور التي حول المسجد، وزاد فيه من الغرب وأدخل فيه حجرات أهل البيت الواقعة شرقي المسجد وجعل بين الحجرة الشريفة وبين الجدار الخارجي ممراً لحماية الحجرة، فصار طول الجدار القبلي ١٦٧ ذراعاً، والجدار الغربي ٢٠٦ ذراعاً تقريباً، وجعل العمد من الحجارة وزخرف الحيطان بالفسيفساء واستغرقت عمارته ثلاث سنوات.

ثم زاد فيه أمير المؤمنين محمد بن عبد الله بن محمد العباسي الملقب بالمهدي من جهة الشام ١٠٠ ذراع.

وفي عام ١٢٥٥هـ جدَّد السلطان عبدالحميد عمارة المسجد النبوي الشريف وزاد فيه من الشمال ٦٦ ذراعاً تقريباً وبناه بالحجارة والنورة والطوب والطين

---

(١) صحيح البخاري: رقم (٤٤٦).

وجعل السقف قِباباً، والأعمدة من الحجارة الموجودة الآن فصار طول المسجد من الغرب ١٠٣ متر، ومن الشرق ١٠٠ متر ومن القِبلة ٧٠ م ومن الشمال ٦٠ م.

وفي عام ١٣٤٨هـ في عهد الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية –غفر الله له– أمر بترميم المسجد النبوي فرُمِّم وجعلت فيه تحسينات.

وفي عام ١٣٦٨هـ أعلن الملك عبد العزيز –طيب الله ثراه– عزمه على زيادة المسجد النبوي الشريف وأسند ذلك لولي عهده سعود بن عبد العزيز –غفر الله له– فشمَّر عن ساعد الجدّ والإخلاص وابتدأ العمل في التوسعة عام ١٣٧٠هـ، فثمِّنت البيوت المحيطة بالمسجد من أربع جهات وعُوِّض أهلها بتقديرات حازت رضاهم واغتباطهم وتم حفر الأساسات إلى الأرض الصلبة تحت الماء، ووضع الملك سعود –رحمه الله– حجر الأساس في الجهة الغربية من المسجد بجانب باب سعود سنة ١٣٧٣هـ.

ومساحة الزيادة طولها شمالاً وجنوباً ٢٥٦ذراعاً، تعادل ١٢٨ متراً، وعرضها شرقاً وغرباً ١٨٢ ذراعاً، تعادل ٩١ متراً، وعُدِّل الميول الذي كان في الضلع الشرقي فصار الضلع الشرقي يوازي الضلع الغربي، والضلع الشمالي يوازي الضلع الجنوبي وأصبح المنظر متناسقاً متعادلاً، فصارت المساحة الإجمالية

للمسجد بعد هذه التوسعة السعودية الأولى ١٦٣٢٦ متراً، والتوسعة السعودية الأولى هي أضخم توسعة شهدها المسجد في تاريخه، والبناء المشيد المتين يدلّ بلسان الحال على الاهتمام والعناية، وأحيط المسجد بشوارع فسيحة من أربع جهات وميدان واسع من الجهة الشمالية.

وفي عهد الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله أمر بتوسعة المسجد من الجهة الغربية فهدمت البيوت الواقعة غرب المسجد بعد تعويض أهلها وأحيط بجدار وظُلّلت للمصلين بمظلات من نوع خاص ومساحة هذه التوسعة ٩٤ ألف متر مربع.

وفي عهد الملك خالد بن عبدالعزيز غفر الله له، نزعت ملكية عدد من الأحياء الواقعة جنوب غرب المسجد مثل سويقة وسقيفة الرصاص والشونة وجعلت ميداناً ومواقف لسيارات المصلين في المسجد النبوي الشريف هذا فيما أعتقِدهُ إن لم تخني الذاكرة.

وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله وأمدَّ في حياته لخدمة الإسلام والمسلمين أخذ يتفقد مدينة الرسول بنفسه راكباً وماشياً ويتحسَّس أوضاع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يتفقد أحوال حجّاج بيت الله الحرام وزوَّار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلِم أن المسجد يضيق بالمصلين في أيام الجمعة والأعياد –فضلاً عن أيام

الحجّ- ورأى أنه لابد من توسعة تمكن زوَّار المسجد من الصلاة فيه، واستخار الله وقرَّر عزمه على توسعة المسجد النبوي الشريف، وتطوير المدينة المنورة تطويراً يليق بها، فهي دار هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومهبط الوحي ومواقع التنزيل ومنطلق الدعوة إلى الله، وهي مواقع أقدام المصطفى صلى الله عليه وسلم وأنصاره والمهاجرين، تلك الصفوة التي اختارها الله لتلقي وصيته وحمل أمانته وتبليغ رسالته لهداية خلقه وإصلاح أرضه وتطهير المعتقدات وبثّ العدل بين الناس وهي مأرز الإيمان، فشكَّل لجنة ملكية برئاسته تتكون من عدد من الوزراء وأناب عنه فيها سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزير الدفاع والطيران والمفتش العام؛ لما عُرِف عن سموه من العزم والحزم والنصح والإخلاص.

وابتدأ العمل بالمسح والتقدير والتعويض ونزع الملكية وبلغت تقييماتها آلاف الملايين من الريالات، فهُدّت حارة الأغوات. ووضع خادم الحرمين الشريفين حجر الأساس في ١٤٠٥/٢/٩هـ، وضعه بنفسه جنوب المظلات غرب باب الصديق رضي الله عنه وحُفِرت الأساسات في الجهة الشرقية المحاذية لباب النساء في ١٤٠٦/٦/١٩هـ، كما حُفرت الأساسات شرق شمال المظلات بتاريخ ١٤٠٦/٣/١٠هـ، ثم هدمت السنبلية والرومية وذروان إلى درب الجنائز.

ومن هنا انطلق العمل بكل القوى والإمكانات وبجد ونشاط متواصل ليل نهار خلال أربع وعشرين ساعة لا يفتر أبداً حتى يوم الجمعة ولياليها، وذلك

ما قرَّره خادم الحرمين الشريفين حرصاً على إنجاز التوسعة وفتحها للمصلين فهو يتابع العمل بنفسه وهو في أي مكان كان، وأسند المتابعة الفورية لأخيه الشاب الهمام أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز، فكان عند ظن أخيه وجعل له مكتباً خاصاً بجوار التوسعة شرقي المسجد الشريف وصار يتابع العمل ويشارك بنفسه.

وفي شهر الحجّ سنة ١٤٠٦هـ، تم تسقيف بدروم نصف التوسعة الشرقية وفتحت للمصلين، وظللت عن حرارة الشمس، وفي أول عام ١٤٠٧هـ هدمت المباني التي بين شارع الساحة وشارع السحيمي، وينتظر أن يتم تسقيف جميع البدروم من الجهات الثلاث الشرقية والشمالية والغربية في أشهر حجّ عام ١٤٠٧هـ، ويُفتح للمصلين إن شاء الله تعالى.

ومساحة التوسعة الحالية ٨٢٠٠٠ م٢ تحيط بالمسجد الأول من الجهة الشمالية بطول ٤٢٥م شرقاً وغرباً، وتمتد من الشمال إلى الجنوب غرباً باب الرحمة بطول ١٥٠م، وتمتد من الشمال إلى الجنوب شرقاً حتى باب النساء بطول ١٥٠ م، فتكون الزيادة والبناية السعودية الأولى في وسط زيادة خادم الحرمين الشريفين وتتسع الزيادة الحالية وحدها ٢٢٧٠٠٠ مصلياً، منها ١٣٧٠٠٠ مصلياً في الأرضي، و ٩٠٠٠٠ مصلياً في السطح، يضاف إليها ما بقي من المظلات والميادين التي حول المسجد في توسعة خادم الحرمين،

وتتسع لحوالي ٢٤٥٠٠٠ مصلياً ويضاف إليها أيضاً مساحة مبنى المسجد الأول وتتسع لحوالي ٢٨٠٠٠ مصلياً فيكون المسجد بزيادة خادم الحرمين والميادين يتسع لحوالي ٥٠٠٠٠٠ مصلياً أي نصف مليون مسلم يؤدون الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وساحاته.

وإذا قارنَّا بين أكبر الزيادات الثلاث وهي توسعة السلطان عبدالحميد والتوسعة السعودية الأولى، وتوسعة خادم الحرمين الشريفين فإذا هي كما يلي: مساحة المسجد بعد زيادة السلطان عبدالحميد ١٠٣٠٣ متراً مربعاً ومساحته بعد الزيادة السعودية الأولى ١٦٣٢٧ متراً مربعاً ومساحته بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين ٩٨٣٢٧ متراً مربعاً.

والحق يُقال: إنَّ مشروع خادم الحرمين الشريفين لتوسعة المسجد النبوي الشريف مشروع عظيم كبير في سعته وضخامته وتصميمه وسرعة تنفيذه. ذلك أن خادم الحرمين الشريفين بذل كلّ الطاقات البدنية والمالية واتجه الاتجاه الكامل لخدمة الحرمين الشريفين وراحة حجاج بيت الله الحرام وزائري مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير من المشاهدين لهذه العمارة من داخل البلاد وخارجها من مهندسين وفنيين يقف واحدهم متفكراً مندهشاً معجباً فرحاً مسروراً بهذا المشروع.

وإنه لمفخرة للبلاد وأهلها، وعملٌ صالح وصدقة جارية وذِكْر حسنٌ لخادم

الحرمين، نسأل الله أن يتم هذا العمل الخيّر حتى يراه خادم الحرمين كما تمناه وكما خطط له يُصلّي فيه مع إخوانه جموع المسلمين -نصف مليون مسلم- وهو في صحة وعز وهناء.

ولا ننسى مشروع مجمع المحاكم الشرعية في المدينة المنورة فإنه منحة من فهد خادم الحرمين الشريفين، مقيم الشرع والقضاء، فقد أصدر أمره حفظه الله ببناء مجمع المحاكم واختار بنفسه الموقع في مكان حوش النورة جهة جنوب المسجد النبوي الشريف، وتم تصميم المبنى ليتحمل سبعة أدوار، وابتدأ العمل فيه بتاريخ ١٤٠٧/٣/٢٠هـ، بحفر الأساسات ودق الخوازيق، فكان العمل فيه مثل العمل في توسعة المسجد ليل نهار، ووصل العمل الآن في سقف البدروم ومساحة الموقع ٥٥×١١٠=٦٠٥٠ متراً مربعاً.

ويتكون المبنى من بدروم وأرضي وثلاث أدوار متكررة، البدروم مخصص لمواقف السيارات ويتسع لـ ٨٧ سيارة وفيه مستودعات وغرف للعمال والحرس وفيه جميع الخدمات.

والأرضي يشتمل على المدخل الرئيسي والقاعة الرئيسة والمصاعد والسلالم والمداخل الفرعية، كما يشتمل الأرضي أيضاً على ثمانية أجنحة قضائية، وأقسام الأرشيف وغرف انتظار المراجعين وخدمات، ويشتمل الدور الأول متكرر على جناح لرئيس المحاكم وجناح للمساعد وجناح للإدارة ومكاتب أخرى وصالات انتظار وخدمات، ويشتمل كلّ واحد من الدورين المتكررين

الثاني والثالث على ثمانية أجنحة قضائية ومكاتب للموظفين بالإضافة إلى صالات الانتظار والخدمات.

والمساحة الإجمالية للمبنى ٢٦٣٥٨ متراً مربعاً، وينتظر الانتهاء من تنفيذ المجمع في آخر عام ١٤٠٨هـ، حسب برنامج العمل الزمني وحسب ما نشاهده الآن من عمل متواصل وقوة ونشاط.

وإن أهالي المدينة المنورة وعلماءها وقضاتها وجميع المسلمين في جميع أنحاء العالم يشكرون لخادم الحرمين الشريفين الجهود المباركة والبذل الكبير لتوسعة مسجد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ولبناء مجمع المحاكم الشرعية وغيرها من المشاريع الكبيرة لتطوير المدينة المنورة وإظهارها بالمظهر اللائق الذي يريح المواطن والقادم والزائر، فجزاه الله خير ما جزى إماماً عن رعيته.

وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

هذا ما جرى اختصاره وأرجو المعذرة عن الخطأ والتقصير، والحمد لله أولاً وآخراً.

التكافل الاجتماعي

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد: فإن التكافل الاجتماعي واجب من واجبات الإسلام، فقد أوجب الله على الأغنياء جزءاً من أموالهم يُعطى الفقراء، حق واجب لا تطوعاً ولا تفضلاً، فليس للغني حق المحابات بها ولا حق صرفها لغير مستحقها، قال تبارك وتعالى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)) (١)

وروى البخاري رحمه الله في الصحيح(٢)عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن، فقال: {ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنِّي رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من

---

(١) سورة التوبة آية:١٠٣.

(٢) صحيح البخاري: ٢/١٣٠

أغنيائهم وترد على فقرائهم}.

قال ابن كثير في التفسير[1]: (وأخبر تعالى أن كلّ من تصدق بصدقة من كسبٍ حلال فإن الله تعالى يتقبلها بيمينه فيربيها لصاحبها حتى تصير التمرة مثل أُحد – كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال الثوري ووكيع كلاهما عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إنَّ الله يأخذ الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يُربي أحدكم مُهره وحتى إنَّ اللقمة لتكون مثل أُحد}[2])، وتصديق ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ((أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ)) [3]،وقوله تعالى: ((يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ)) [4] وذكر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ الصدقة تقع في يد الله عزَّ وجلَّ قبل أن تقع في يد السائل.

وقال في التفسير الكبير[5]: ظاهر الآية ويأخذ الصدقات؛ أن الله تعالى هو

---

(١) تفسير القرآن العظيم:٢/٣٨٦.
(٢) رواه الترمذي في سننه: رقم (٦٦٢).
(٣) سورة التوبة آية:١٠٤.
(٤) سورة البقرة آية:٢٧٦.
(٥) التفسير الكبير للفخر الرازي:١٦/١٨٦.

الآخذ، وجاء في الآية الأخرى: ((خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً))[1] تدل على أن الآخذ هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في حديث معاذ ما يدلُّ على أن الآخذ معاذ، والحِسُّ يشهد بأن الآخذ الفقير فكيف الجمع بينها؟!!.

الجواب: والله أعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الآمر بأخذ الصدقة، والرسول صلى الله عليه وسلم مبلغٌ عن الله، ومعاذ مبلغٌ عن النبي عليه الصلاة والسلام، والفقير هو المستفيد.

فالله سبحانه هو الآمر المثيب، فإعطاء الصدقة امتثالاً لأمره وطاعة له فهو يتقبلها عنده ويدخر ثوابها لمعطيها، والرسول صلى الله عليه وسلم قائم مقام أخذ الله، ومعاذ قائم مقام الرسول صلى الله عليه وسلم، والفقير هو المباشر للأخذ.

ونظير هذا قوله تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ))[2] ، ومثل قوله سبحانه: ((قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ))[3]، مع قوله: ((حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا))[4].

---

(١) سورة التوبة آية:١٠٣.
(٢) سورة الفتح آية:١٠.
(٣) سورة السجدة آية:١١.
(٤) سورة الأنعام آية:٦١.

وفي قوله تعالى و يأخذ الصدقات تشريف وتعظيم لهذه الطاعة: فإذا عرف الغني أن صدقته لا يأخذها الفقراء وإنما يأخذها الله سعِد وارتاح واستبشر، فمن أسعد ممن تقبل الله عطاءه!!، ومن أكثر طيباً وطمأنينة ممن يربي الله صدقته، وينميها له، وهذا الفضل وهذا التشريف وتقبّل الصدقة وتنميتها لا يختص بالصدقة الواجبة بل ويشمل صدقة التطوع، فقد أثنى الله تعالى على المتصدقين تطوعاً كما أثنى على المصلين فريضة؛ مما يدلُّ على فضل صدقة التطوع ومنزلتها عند الله، واستثناهم سبحانه من الصفة المذمومة فقال تبارك وتعالى: ((إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ))[1].

فالصدقة لها تأثير بليغ في ترابط المسلمين، وتعاطفهم والتِفاف بعضهم على بعض، الغني يُحسُّ بأن المحتاج أخاه في الله، وإنما فضل الله بما أعطاه من المال فهو يواسيه مما في يده، والمحتاج يحس بأن أخاه الغني ينظر إليه نظرة أخوة وشفقة، وأنه يشاركه في المشاعر والأحاسيس.

والمال هو الوسيط في وصول الإنسان إلى مطالبه في هذه الحياة، ولذلك نُقدّم

---

(١) سورة المعارج آية:١٩-٢٥.

الأحوج على المحتاج، فالجائع الهالك الذي يأكل في بطنه ويدفع الموت عنه أحق بالصدقة من الذي يترفه في المأكل والمشرب، والعاري المحتاج لستر عورته وتغطية بدنه أحوج من الذي يتزين بالملابس ويشتري أجودهما، والمظلوم الذي داهمه الأعداء في قعر داره وأرادوا إخراجه من بلده وماله بغير حق، أحق بالإعانة من غيره.

ومن المعلوم أن الإحسان إلى البشر يستميل هواهم، ويأخذ بقلوبهم، كما قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلبوهموا فطال ما استعبد الإحسان إنسانا

ومع هذا فإن الأخوة الإسلامية توجب على المسلم مشاركة أخيه المسلم في آماله وآلامه ولا يرضى له بالذلة والإهانة، فقد صح الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: {المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة}[1].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: {ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه}[2].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٢٤٤٢).
(٢) رواه مسلم في صحيحه: رقم (٢٦٩٩).

فالرابطة الإسلامية بين المسلمين أقوى من رابطة النسب والمصاهرة، فحبل الله المتين يربط بين المسلم في شرق الأرض وبين أخيه المسلم في غَربيّها، وبين المسلم في جنوبي الأرض وبين أخيه المسلم في شماليّها، فإذا تأثر مسلم في أي بقعة من الأرض تأثر له المسلمون في جميع أقطار الأرض.

وإذا تأملنا شرائع الإسلام وجدناها تحافظ على روابط الأخوة الإسلامية، فمن ذلك الاجتماعات المشروعة في الصلوات المكتوبة والجمعة والعيدين والحجّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزيارة المرضى وتشييع الجنائز، وتحريم الظلم والمحافظة على حقوق المسلم والجوار، وستر عورات المسلمين وقضاء حوائجهم والحثّ على الإصلاح والشفاعة، والصدقة بنوعيها؛ الواجبة والتطوع، والبرّ والصلة، وتنظيم المعاملات وترتيب صلة المسلم بالمسلم وغير ذلك من أسباب الترابط.

والمملكة العربية السعودية، وهي الوحيد في العالم التي تحكم بما أنزل الله ونظامها القرآن وسنة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم؛ تحرِص شعباً وحكومةً على المحافظة على روابط الأخوة الإسلامية أيّاً كان نوعها.

والسعودية في مقدمة المحسنين في كلّ ميدان.

وفي مجال التكافل: نجد في كلّ قُطْر من الأرض هيئة ومنظمة ورابطة تقدم المساعدات المالية والتعليمية والتربوية لإخواننا المسلمين وتدعو للإسلام.

والذي أعرف أن للملكة العربية السعودية في العالم حوالي ثمانين مكتباً لإغاثة إخواننا المسلمين في أقطار المعمورة، وهناك مكاتب إسلامية تعلّمهم شرائع الدين وترشدهم إلى العقيدة الصحيحة.

وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز أطال الله في حياته بذل مجهوداً كبيراً لإرسال الدعاة، وفتح مكاتب دعوة في كثير من البلدان كان لها آثار حسنة، ورابطة العالم الإسلامي لها مجهودات مفيدة لإغاثة إخواننا المسلمين اقتصادياً واجتماعياً وأدبياً.

وهناك فرق بين عطاء المبشِّرين من النصارى – وبين عطاء المسلمين.

فالمسلمون يعطون المساعدات المالية على أنه تكافل إسلامي، واجب يقدمونه لإخوانهم لشدِّ أزرهم وتثبيتهم على إسلامهم، يرجون برَّه وثوابه من الله، يطعمون الطعام بأريحة نفس ورحمة قلب وخلوص نية، ولا يقصدون بعطائهم الاستعلاء ولا الفخر والخيلاء، إنما هو عطاء من أجل الله.

أمَّا المبشرون النصارى فيعطون ما أعطوا لهدف استعباد المحتاجين وجذبهم إلى النصرانية، أو على الأقل إخراجهم من الإسلام.

فالترابط الإسلامي والتعاطف قوة للمسلمين ترهب أعداءهم وتخيف الكافرين.

فأوصي إخواني أهل الجِدة بالعطف على إخوانهم أهل الحاجة.

ثم أحذرك أخي المسلم من دسائس اليهود والنصارى وأعوانهم الذين يلبسون ثياب الإسلام وهم في الواقع والحقيقة والعمل ضد الإسلام.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (١)

((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (٢).

والله تعالى قادر على أن يجعل المسلمين أغنى الناس وأقوى الناس ولكن يبتلي عباده ويختبرهم، والدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، لا تساوي جدياً ميتاً أَسَك، الخالق يريد رفع درجات بعض المسلمين وتقريبهم منه في جنات النعيم، ولكن لا يصلون إلى ما أعدَّ الله لهم إلاَّ بسبب الجهد والفاقة.

فأوصيكم وإيَّاي بتقوى الله، وبالصبر، والتوجه إلى الله وحده في السراء والضراء.

وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢-١٠٣.
(٢) سورة الأنفال آية:٤٦.

مشروعية الصيام [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

فأقدم لك أخي القارئ الكريم هذا الحديث عن قاعدة من قواعد الإسلام، وشرعة من شرائع الله، لها عمق في التاريخ ولها تأثير في إصلاح النفس والروح والبدن. إنه (الصيام).

إنَّ الحديث عن الصيام يعطي النفس قوة وعزيمة ويكسبها رغبة ورهبة، ويلبسها ثوب هدى وتقوى؛ لأن الصيام يصل بحبل الله المتين والعروة الوثقى، فما بالك أيها المسلم بالصيام وآثاره.

وسأتناول في حديثي هذا – إن شاء الله تعالى –:

- تعريف الصيام.
- تاريخ الصيام.
- حكم الصيام في الإسلام.
- حكمة الصيام.

---

(١) مقالة كتبها الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم بتاريخ ١٤٠٢/٨/١٠هـ

- فوائد الصيام.
- فضل شهر رمضان.
- الأعذار المبيحة للفطر.
- مبطلات الصيام.

١- تعريف الصيام:

الصيام لغة: مطلق الإمساك عن الشيء، وهو مصدر صام يصوم فيُقال: صام عن الكلام إذا أمسك عنه، ((فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا)) [١]

ويقال خيلٌ صيام: أي ممسكة عن الجري كما قال النابغة:

خيل صيام وأخرى غير صائمة تحت العجاج وأُخرى تعلك اللجما

وأمَّا في الشرع: فالصيام هو: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قال تعالى: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ)) [٢]

٢- تاريخ الصيام:

---

(١) سورة مريم آية:٢٦.
(٢) سورة البقرة آية:١٨٧.

الصيام من العبادات الأساسية في الشرائع، قد فُرِضَ على الأمم التي قلبنا من لدن آدم عليه السلام، ثم آخرها هذه الأمَّة المحمدية على نبيّنا أفضل الصلاة والسلام.

فلم يكن الصوم خاصاً بهذه الأمَّة وحدها، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[1].

وأمَّا صفة صوم من قلبنا، فلم أطلع فيه على نصّ من الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا علِم المسلم بأن الصيام فرض على من قلبنا كان أقوى لعزيمته في تحمل المشقة، ومقاومة شهوات البدن والفَرْج في نهار الصيام طاعةً لله وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

يضاف إلى أنه مفروض على من قبلنا؛ أنه أيام معدودات، فليس كل العمر، ولا أكثره، وليس كل أيام السنة، بل هي أيام قليلة بالنسبة إلى أيام العام، فهو شهر واحد من اثني عشر شهراً، فذلك أدعى للانقياد والتسليم والامتثال، فضل من الله ورحمة.

وكان أول ما فرض صيام شهر رمضان، لوحظ فيه التدريج تسهيلاً على

---

(١) سورة البقرة آية:١٨٣.

النفوس؛ لأن الصيام فيه مشَّقة، فالأخذ بالتدريج فيه أسهل على النفوس.

فكان أول ما فرض يخير الذي يطيق الصيام بين الصيام، وبين الإطعام كل يوم مسكيناً، ومن زاد فهو خير له، مع الترغيب في الصوم وتفضيله على الفطر.

مع الرخصة للمسافر والمريض أن يفطرا ويقضيا في أيام أخر.

قال تعالى: ((أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ))[1]

٣- أمَّا حكم الصيام في دين الإسلام:

فهو فرض عين على كل مسلم مُكلَّف، أي بالغ عاقل يطيقه سواء كان ذكراً أو أنثى، بل الصيام ركن من أركان الإسلام لا يتم إسلام المرء إلاَّ بالصيام، فلا تصلح الصلاة إلاَّ بالصيام ولا تصلح الزكاة إلاَّ بالصلاة، ولا يصلح شيء من شرائع الإسلام إلاَّ بالركن الأساس: (شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مع تحقيق ذلك.

ويستحب أن يمرنَّ الصبي - إذا راهق البلوغ وقرب من التكليف على الصيام، حتى إذا وجب عليه يكون قد تمرن فلا يشق عليه ولا يهمله.

---

(١) سورة البقرة آية: ١٨٤.

٤- أمَّا حكمة فريضة الصيام:

فإن الفرائض لا تعلّق بما يظهر للإنسان من آثار محسوسة، ومنافع موجودة؛ إذ المقصود امتثال الأمر واجتناب النهي طاعةً لله تعالى وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم: ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا))[1].

ولكن من آثار الحكمة الإلهية في الصيام: قوله تعالى: ((لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))؛ فالصيام يورث التقوى ويرقق الطباع ويهذب النفوس؛ لأنه يكسر الشهوات ويمنع الأشر والبطر والفواحش ويُهوّن لذّات الدنيا وزخارفها، فالصيام جامع لأسباب التقوى.

والتقوى هي التي تحرس القلب والجوارح من الطغيان والفساد، فإذا استطاع أن يسيطر على شهوات بطنه وفرجه بالصيام فهو على باقي الشهوات أقدر.

٥- أمَّا فوائد الصيام:

فإن الصيام يصل المسلم بربّه ويرفع معنويته ويطهر النفس ويزكيها ويحط الذنوب ويرفع الدرجات، وثوابه لا يقدّر بقدر محدود ويكسب النفس فرحة وحيوية وستراً من الآفات والآثام.

---

(١) سورة النساء آية:٦٥.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {كلّ عمل ابن آدم يُضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى إلاَّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربّه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصيام جُنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله أحد فليقل إني امرؤ صائم}.[1]

وفي الصيام فوائد صحية واجتماعية:

أمَّا الصحية:

فله تأثير كبير في إصلاح البدن والأجهزة العاملة فيه، فهو يعطيها إجازة لترتاح من العمل الدائب الشاق طوال السنة لتستعيد قوتها ونشاطها.

وقد أثبت الطب الحديث أن الحمية لها تأثير فعَّال في العلاج، ألا تنظر إلى المريض يدخل المستشفى ويمنع عن كثير من المأكولات والمشروبات مدة من الزمن، وينحصر السماح له في أنواع مخصوصة وبمقادير معلومة، والصيام يخفف الوزن ويصفي الدم وينقي الأمعاء، كما أن الإسراف في الأكل والشرب سبب للأمراض وإرهاق الجهاز الهضمي، فإذا ضعف ضعفت جميع الأجهزة تتداعى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١٩٠٤)، ومسلم في صحيحه: رقم (١١٥١).

له بالسهر والحمى.

ويقول الحكماء: المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء.

وقد نهى الله تعالى عن الإسراف وعن الشبع الذي يعود بالضرر على الإنسان فقال سبحانه وتعالى: ((يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ))[1].

ويبيّن صلى الله عليه وسلم حد الاعتدال والإسراف كما في الحديث عنه أنه قال: {ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أُكَيْلات يقمن صلبه، فإن كان لامحالة – وفي رواية – فإن غلبت الآدميّ نفسه، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفَسِه}[2].

فهذا هو الحد الأعلى للاعتدال، ما زاد عنه فهو إسراف وبِطْنة تعود على الإنسان بالضرر والاسقام.

وأمَّا الفوائد الاجتماعية:

فإن الصيام يذكّر الأغنياء بأحوال إخوانهم الفقراء والأيتام والأرامل فهو في أيام الصيام يحس بما يحسون به من الجوع والحاجة إلى الطعام والشراب البارد طوال أيام السنة، فيعطف عليهم ويواسيهم من ماله الذي آتاه الله.

---

(١) سورة الأعراف آية:٣١.
(٢) رواه الترمذي في سننه: رقم (٢٣٨٠)، وأحمد في مسنده: رقم (١٧١٨٦).

وفيه أيضاً: توحيد للحالة الاجتماعية بين الناس، فكلهم في طبقة واحدة تحتاج إلى الطعام والشراب، وكلهم واحد في شرع الله، لا يتميز الشريف ولا الغني عن غيرهما من الناس فالكل عبيد لله ويطالبون بإقامة شرائع الله.

وفي الصوم كبح لشهوات النفس وكسر بشريّتها، فلا يظلم أحد أحداً، ولا يتكبر أحد على أحد، أمَّا الشبع والإسراف فهو ضد ذلك.

روى البخاري[1] عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أول بلاء حدث في هذه الأمَّة بعد نبيها: الشبع، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم فضعفت قلوبهم وجمحت شهواتهم.

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {من الإسراف أن تأكل كلّ ما اشتهيت}[2].

فالصيام إذاً يحثّ على الصلة وفعل الخير والبر بالأقارب والجيران والعطف على المحتاجين.

٦- وأمَّا فضل شهر رمضان:

فناهيك بشهر الصبر والمغفرة والرضوان إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب

---

(١) رواه في كتاب الضعفاء. وذكره في الترغيب والترهيب:١٣٧/٣

(٢) سنن ابن ماجة: رقم (٣٣٥٢)، البيهقي في شعب الإيمان:٥/ ٤٦.
في الزوائد على سنن ابن ماجه هذا إسناده ضعيف.

السماء وأبواب الجَنَّة وأغلقت أبواب النار وصُفدت مردة الشياطين.

ويُنادي منادٍ يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشرّ أقصر، ولله في كلّ ليلة من رمضان عتقاء من النار.

وهو شهر مبارك يفيض الله فيه على عباده المؤمنين من النفحات والكرامات والمغفرة والرضوان، وفيه ليلة القدر خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حرم الخير الكثير، ما يوافقها عبد مسلم يسأل الله شيئاً إلاَّ استجيب له ما لم يكن إثماً أو قطيعة.

جعل الله صيام رمضان فريضة، وقيام ليله تطوعاً، من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدَّى فريضة فيما سواه، ومن أدَّى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه.

وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجَنَّة، وهو شهر المواساة، يُزاد فيه رزق المؤمن، من فطّر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، إنه شهر مبارك أوله رحمه وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل شهر رمضان أطلق كلَّ أسير وأعطى كلَّ سائِل، والجَنَّة تُزخرف من الحول إلى الحول لشهر رمضان وفي آخر ليلة من رمضان يُغفر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وإنما يوفّى العامل أجره إذا قضى عمله.

ويستحب الإكثار من نوافل الصلاة في رمضان وخاصة التراويح، والتهجد في العشر الأواخر منه اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان إذا دخل العشر الأواخر شدَّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه}(١).

٦- أعذار الفطر: ثلاثة؛ السفر، والمرض، والحيض والنفاس.

١- المسافر - مخير بن الصيام والفطر إذا لم يشق عليه الصيام؛ لأنه صلى الله عليه وسلم خيّر حمزة الأسلمي، فقال: {إن شئت فصم وإن شئت فأفطر}(٢) والأخذ بالرخصة أفضل.

أمَّا إن شقَّ عليه الصيام، أو كان في عمل للمسلمين يتطلب القوة والعمل فليس الصيام إذاً من البِرّ، بل الفطر هو البر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: {ليس

(١) صحيح البخاري: رقم (٢٠١٤)، صحيح مسلم: رقم (٦٧٠).
(٢) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١٩٤٣).

من البر الصوم في السفر}[1]. وقوله: {ذهب المفطرون اليوم بالأجر}[2]، وقوله: {أولئك العصاة أولئك العصاة}[3] للذين لم يفطروا مع شدَّة الحرّ وحاجتهم إلى الفطر؛ لأنهم مقبلون على العدو؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أفطر وأمر بالفطر، فإذا أفطر قضى عدّة ما أفطر من أيام أُخر، ولا يشترط التتابع ولا الفور، لكن لا يؤخره حتى يدركه رمضان آخر، والأولى أن يقضيه فور إقامته؛ لأنه دين في ذمته ودين الله أحق بالوفاء.

ومتى استقر المسافر في بلد ونوى الإقامة أكثر من أربعة أيام زال عنه حكم السفر وصار مقيماً يلزمه الصوم؛ لقوله تعالى:

((فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ...))[4] قال نوى الإقامة ولم يكن على سفر.

٢- المريض:

حدُّ المرض المبيح للفطر هو الذي لا يستطيع معه الصيام أو يزيده الصيام مرضاً أو مضاعفات، وهو نوعان:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١٩٤٦).
(٢) رواه البخاري: رقم (٢٨٩٠)، ومسلم في صحيحه: رقم (١١١٩).
(٣) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١١١٤).
(٤) سورة البقرة آية:١٨٥.

الأول: مرض يُرجى برؤه كالكبير في السن والمريض مرضاً يُرجى برؤه فيفطر ويقضي عدّة ما أفطر في أيام أخر.

والثاني: مرض لا يُرجى برؤه؛ كالكبير في السن والمريض مرضاً مُزمناً لا يُرجى برؤه فيفطر ويطعم عن كلّ يوم مسكيناً، فإن زاد في الإطعام فهو خير له، والحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أفطرتا وقضتا كالمريض الذي يرجى برؤه.

٣- الحائض والنفساء:

لا يصحُّ منهما الصوم، ولا يحل لهما أن تصوما، بل تفطرا وتقضيان عدَّة ما أفطرتا من أيام أخر.

٨- مبطلات الصيام:

١- مَن أكلَ أو شرب في نهار الصيام من غير عذرٍ متعمداً ذاكراً لصومه، أثم ولزمه الإمساك والقضاء والتوبة إلى الله تبارك وتعالى.

٢- الجماع: من جامع في نهار رمضان فسد صومه ووجب عليه القضاء والكفارة، والمرأة إذا كانت مطاوعة كذلك، والكفارة عتق رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، وفي غير رمضان لا كفارة فيه.

٣- إنزال المني في غير جماع: يوجب القضاء سواء حصل بمباشرة أو تقبيل

أو استمناء التي يسمونها العادة السرية، وهي حرام، أمَّا إذا احتلم وهو نائم فأنزل فصومه صحيح ولا شيء عليه.

٤- القيئ: وهو إخراج ما في المعدة من طريق الفم، إذا استقاء الصائم فأقاء فسد صومه وعليه القضاء، أمَّا إن غلبه القيء فلا شيء عليه.

هذا ما تيسر ذكره، أرجو الله أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وصلَّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

تتمة في الصيام

"الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

الصيام والجهاد أخوان كلاهما يفيد تقرير منهج الله، وتثبيت إرادته الشرعية في خَلقِه، فالجهاد بذل الطاقة لكف أعداء الإسلام عن طريق الدعوة، وردهم إلى حُكم العدل، وقتال المعاند ليخضع لحكم الله وإرادته.

والصيام جهاد النفس وكفّها عن شهوات البطن والفرج المباحة في نهار الصيام طاعةً لله وانقياداً لحُكمه.

ولما كان التكليف شاقاً على النفس، والمُشرّع تعالى عليم بضعف الإنسان وطبيعته، جعل في فرض الصيام أسلوباً حكيماً يقود النفس المسلمة إلى القبول والانقياد والرضى والاحتساب.

وذلك واضح في نص القرآن الكريم.

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ شْكُرُونَ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ))[1].

فهذه خمسة اعتبارات نصت عليها الآيات:

١- التأسي والاقتداء: فهو يقوي عزيمة الإنسان، فإذا علِم المسلم أن الصيام عبادة مشروعة على الأمَّة التي قبل هذه الأمَّة فحملوها، كان ذلك حافزاً له على تلقي فريضة الصيام بالرضى والقبول.

٢- ذِكر الأيام التي فرض فيها الصيام، وأنها قليلة بالنسبة لأيام السنة، فإنما هي أيام معدودات، وليست كل أيام السنة ولا نصفها، وفي النهار دون الليل، فإذا علم المسلم أيام الصيام قليلة، جزء من اثني عشر جزءً من السنة، وباقي الأيام حِل له، سهل عليه الصيام.

٣- التيسير في التشريع ورفع المشقة، فإذا علم المسلم أنه مرخصٌ له في الفطر إذا ضرب في الأرض ليحصل معاشه ومصالحه، ومرخص له في الوقت الذي

---

(١) سورة البقرة آية:١٨٣-١٨٦.

يشق عليه الصيام لمرض ونحوه، حثّ نفسه لتقي الفريضة بالرغبة والاطمئنان.

٤- التدريج في فريضة الصيام، فكان أول ما فرض الصيام خُيّر القادر بين الصيام وبين إطعام مسكين عن كلّ يوم، وذلك لترويض النفس ولمراعاة جانب الضعف في الإنسان، إذ صَرفُ النفس عن طبعها أمر ليس بالهين، فلابد من أخذها بالحكمة، لئلا تنفر فتهلك.

٥- الترغيب في أعلى صفات المسلم: التقوى؛ فالصيام سبب للتقوى؛ لأنه يرقق الطبع، ويهذب النفس، ويصفي الأخلاق ويضيق مجاري الشيطان في البدن، فإذا عرف المسلم أن الصيام يوصل للتقوى أدّاه برغبة وأقبل عليه باحتساب، وللتقوى نفوذ بالغ في قلب الإنسان وجوارحه فهي تحرسها من تعدي حدود الله، ومن الوقوع في معصية الله.

وكفى بالصيام فضل؛ أن الله تعالى أضافه لنفسه، فلم يتعبد أحد بالصيام غير الله، فلم يعظم الكفار والوثنيون في عصر من العصور معبوداً لهم بالصيام وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود والصدقة والذكر، والذبح والنذر، وسائر القرابين المالية.

ولأن الصـوم بعيد عن الرياء لخفائه فهو خفي وسـر بين العبد وربِّه، فكان ثوابه لم يحدد بمقدار معلوم لا بعشرة أضعاف ولا بسبعمائة ضعف وإنما يتولاه

الواحد الكريم سبحانه وتعالى ((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)) [1]، روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {قال الله عزَّ وجلَّ: كلّ عمل ابن آدم له إلاَّ الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل إني امرئ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقي ربَّه فرح بصومه} [2].

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {كلّ عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عزَّ وجلَّ: إلاَّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي} [3].

لقد أظلنا أيها القارئ الكريم خير الشهور وأفضلها وأعزها على الله وأكرمها فاستقبلوه بالبشر والسرور فإنه ضيف خفيف الظل سيحل ويرحل سريعاً مثل

---

(١) سورة الزمر آية: ١٠.
(٢) صحيح مسلم: رقم (١١٥١).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١٩٠٤)، ومسلم في صحيحه: رقم (١١٥١).

الأعوام السابقة.

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يسألون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان فإذا صاموه سألوا الله ستة أشهر أن يتقبل منهم.

تلقّوا شهركم بالعزيمة والنِّيَّة الصادقة على صيامه وقيام ما تيسَّر من ليله فإن صيامه وقيام ليله يكفّران جميع الذنوب وسبب لدخول الجَنَّة، ففي الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {في الجَنَّة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان، لا يدخله إلاَّ الصائمون}[1]، وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه}[2].

إخواني في الله: خذوا من صحتكم لمرضكم ومن فراغكم لشغلكم ومن غِناكم لفقركم، ومن حياتكم لموتكم.

فكم من مسلم أدركه الأجل قبل شهر رمضان، وكم من مسلم تمنى صيامه وقيامه فمنعه المرض، وكم من مسلم اشغلته دنياه عن مناجاة مولاه، وكم من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٣٢٥٧).
(٢) صحيح البخاري: رقم (٢٠١٤)، صحيح مسلم: رقم (٦٧٠).

إنسان استحوذ عليه إبليس فهو في الأرض حيران، واشكروا ربَّكم على نعمة الإسلام. اللهمَّ لا نُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، اللهمَّ سلّمنا لرمضان وأعنا على صيامه وقيامه وتسلّمه منا مقبولاً وارحمنا برحمتك واغفر لنا ذنوبنا وأعتقنا من النار، وصلَّى الله وسلّم على عبدك ورسولك نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه".

فضل ليلة القدر

"إنَّ الكلام عن ليلة القدر، تلك الليلة المباركة الموعودة المشهورة لا يعطيها حقَّها ولا يستطيع إنسان أن يعبر عن حقيقتها.

والقرآن الكريم ذكر تلك الليلة في موضعين فيه:

الأول: في مستهل سورة الدخان: ((حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ))(١).

والثاني: سورة كاملة هي سورة القدر، وهي قوله تعالى: ((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ))(٢)

فهذه الآيات القرآنية التي تحدثت عن ليلة القدر تبعث الفرح والغبطة في النفس المؤمنة بتلك الليلة، ليلة الاتصال من الأرض والملأ الأعلى، ليلة الحدث الأكبر الذي لم تشهد الأرض مثله في حياة البشر؛ فقد أُنزل فيها القرآن جملة

---

(١) سورة الدخان آية:١-٦.
(٢) سورة القدر آية:١-٥.

واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وابتدأ نزوله منجّماً إلى الأرض على نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر، ثم تتابع على حسب الوقائع ومتطلبات التشريع، واستعداد المؤمنين لاستقباله والعمل به، يعالج المشاكل الاجتماعية والقضايا السياسية، وينظم الصفوف الحربية ويصل الإنسان بخالق الإنسان، ويربط الإنسان بالإنسان، وينظم حياة البشر في كلّ المجالات على مستوى رفيع طاهر نظيف، وفي تلك الليلة يُفْرَق كلّ أمر حكيم، تُقضى فيها الأمور وتقدر فيها الآجال والأرزاق.

وآيات القرآن الكريم في سورة القدر تشير إلى الأنوار التي تختص بها تلك الليلة، نور القرآن المشرق الذي نزل فيها فأضاء الوجود بالروحانية والإيمان فحجب السماء عن مسترقي السمع.

ونور الملائكة التي تنزل في تلك الليلة تغدوا وتروح بين السماء والأرض، وتجول في أرجاء الأرض يستمعون لتلاوة القرآن وتحفّ حِلق الذكر بأجنحتها وتستغفر للمؤمنين والمؤمنات وتنشر السلام والأمن والاطمئنان في كلّ أطراف الأرض على المؤمنين.

وتشير سورة القدر إلى أن هناك معاني خفيّة ومدلولات عظيمة خارجة عن إدراك البشر وعن طاقتهم، ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ

شَهْرٍ))[1]

أي: خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وألف شهر تقابل ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة شهور.

ذكر الإمام الحافظ بن كثير في تفسيره في سبب نزول سورة القدر عن مجاهد -رحمه الله- أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله تعالى: ((لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ))

وليلة القدر من خصوصيات هذه الأمَّة المحمدية تكريماً لها ولنبيّها محمد صلى الله عليه وسلم وإظهاراً لفضلها على الأمم؛ لأن الأمم التي قبلها أعمارهم أطول فيحصل لهم من طول العبادة خير كثير، وأُمَّة محمد صلى الله عليه وسلم هي أقصر الأمم أعماراً فأعطيت تلك الليلة التي هي خير من ألف شهر لتسبق بها من قبلها، قال عليه الصلاة والسلام: {نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيْد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا}[2] متفق عليه.

- **وقت نزول ليلة القدر:**

لقد نصَّت الأحاديث الصحيحة أنها في شهر رمضان، وأنها في الوتر من

---

(١) سورة القدر آية:٢-٣.
(٢) صحيح البخاري: رقم (٨٧٦)، صحيح مسلم: رقم (٨٥٥).

العشر الأواخر: أي ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٩.

وهل هي ثابتة في ليلة معينة دائماً أو أنها قد تنتقل في أوتار العشر، لننظر في النصوص الشرعية عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقد دلَّ حديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– المتفق عليه أنها حصلت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ٢١ حيث سجد في صبيحتها في ماء وطين[١].

ودلَّ حديث عبدالله بن أنيس عند مسلم أنها حصلت في ليلة ثلاث وعشرين[٢].

ودلَّ حديث زر بن حبيش عند مسلم أنها ليلة سبع وعشرين[٣].

واستدلَّ عليها بطلوع شمس ذلك اليوم ولا شعاع عليها.

فهذه الأحاديث دليل لمن قال إنها تنتقل في العشر الأواخر وليست ليلة ثابتة دائماً، وليلة القدر باقية إلى يوم القيامة ولكنها قد ترفع عن ليلة من أجل سبب من الأسباب يحدثه بنو آدم.

- **من فضلها:**

إنَّ من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ولا يوافقها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٨١٣).
(٢) صحيح مسلم: رقم (١١٦٨).
(٣) صحيح مسلم: رقم (٢٢١) كتاب الصيام.

عبدٌ مؤمن يدعو الله بدعاء ليس فيه إثم ولا قطيعة رحم إلاَّ استجيب له.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: {من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه} [1]متفق عليه.

وكان صلى الله عليه وسلم يتحرى ليلة القدر، وأوصى أهله والمؤمنين بتحريها لما فيها من الخير العظيم والبركة والنفحات الربانية والافاضات الإلهية.

تقدم في الجواب الأول الإشارة إلى شيء من ذلك، فالقرآن نزل في شهر رمضان، على نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر الليلة المباركة، فقد سُئل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)) [2]، وقوله: ((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ)) [3] وقوله: ((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)) [4] ، وقد أنزل في شوَّال، وفي ذي القعدة، وفي ذي الحجّة، وفي المحرم، فقال رضي الله عنه: إنَّ القرآن أنزل في شهر رمضان في ليلة

---

(١) صحيح البخاري: رقم (٢٠١٤)، صحيح مسلم رقم (٧٥٩، ٧٦٠).
(٢) سورة البقرة آية:١٨٥.
(٣) سورة الدخان آية:٣.
(٤) سورة القدر آية:١.

القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلاً في الشهور والأيام[1].

وفي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر إلى هذه السماء الدنيا جملة واحدة.

فقد أوضح ترجمان القرآن –رضي الله عنه– معنى إنزال القرآن في شهر رمضان وفي ليلة مباركة، وفي ليلة القدر فلا إشكال والأمر واضح ولله الحمد والشكر.

إنَّ الإسلام لا ينظر إلى الشكليات المجردة من الروحانية، ولا إلى الأجسام الخالية من الخشوع، ولا إلى الأعمال المجردة من وحدانية الله فيها، ولا إلى العبادات التي لم تكن من هدي نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا من سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ولذا قال صلى الله عليه وسلم: {ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه}.

فلا بد أن يكون القيام والعمل والقول مرتبط بالوحدانية لله في كلّ عبادة وقُربة وإرادة وجه الله تعالى بالقيام والعبادة مجردة من الشوائب مع الرغبة فيما عند الله من الأجر والثواب والإيقان بالإجابة ليجمع بين الإيمان والاحتساب، والإسلام دائماً مرتبط في تربيته وتعليمه وتوجيهاته بين العبادة والتوحيد لله {إنما

---

(١) فتح الباري: ٤/٩ .

الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى}[1].

- **مقدماتها وآثارها في الوجود:**

فقد روى أبو داود الطيالسي بسنده عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر: {سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء أي لا شعاع لها}[2].

وفي حديث ابن أبي عاصم عن جابر قال: كأنّ فيها قمراً، لا يخرج شيطانها حتى يضئ فجرها، وهي من غروب الشمس تلك الليلة إلى طلوع الفجر[3].

وقيل: إنَّ من علامتها: أنه لا يُرمى فيها بنجم، وتتدلى أغصان الشجر إلى الأرض، ولا ينبح فيها كلب، ولعل هذا عند ساعة نزولها.

والإنسان الذي يحرص على ليلة القدر؛ يحيي ليلتها بالهدوء والاطمئنان في النفس والراحة في الضمير والرقّة في الطبع والخشوع في العمل والحرص على طلب الخير وقابليته للعبادة وتحمله للمشقة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٥٤) ومسلم في صحيحه: رقم (١٩٠٧).
(٢) مسند الطيالسي: ص:٣٤٩.
(٣) صحيح ابن خزيمة: رقم (٢١٩٠).

- **أفضل الأعمال التي تعمل فيها:**

سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟، قال: {قولي: اللهمَّ إنَّك عفو تحب العفو فاعف عني}[1]، ويحبّب الإكثار من نوافل العبادات مثل الصلاة، والصدقة، وتلاوة القرآن الكريم، والذكر المأثور بأنواعه.

والتفرغ لذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل العشر جدّ واجتهد وشدّ مئزره وأحيا ليله، وكان يعتكف في المسجد من أول الليلة الحادية والعشرين حتى طلوع الفجر يوم العيد، لا يخرج منه إلاَّ لحاجة الإنسان ولا يشتغل بشيء من أمور الدنيا.

- **الأصل في اتجاه المسلمين إلى العمرة في رمضان:**

حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين وغيرهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لامرأة من الأنصار: {ما منعك أن تجيئي معنا؟}، فقالت: كان لنا ناضح فركبه أبو فلان، تريد زوجها وأمها، وترك لنا ناضح ننضح عليه، قال عليه الصلاة والسلام: {إذا كان رمضان فاعتمري

---

(١) رواه الترمذي في سننه: رقم (٣٥١٣)، وأحمد في مسنده: رقم (٢٥٣٨٤)

فيه فإن عمرة في رمضان تعدل حجة}[1]، وفي رواية مسلم: {فإن عمرة في رمضان تعدل حجة معي}[2].

ولأن العمل يضاعف أجره بحسب فضل الزمان والمكان وشهر رمضان شهر مبارك مفضل، من أدّى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه نافلة كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ولم أرَ ما يدلُّ على أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر في رمضان، وعام الفتح دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة حلالاً غير محرم، ثم اعتمر في شهر ذي القعدة من الجعرانة.

- **هل العمرة في رمضان أفضل؟ أم الاشتغال بالصلاة والقراءة والعبادات؟:**

قال بعض العلماء: العمرة أفضل، وإنما لم يعتمر صلى الله عليه وسلم في نهار رمضان تسهيلاً لأمَّته.

وقال آخرون: بل الاشتغال بالعبادة وما هو أكثر عملاً وأهم من العمرة أفضل، بل إنه صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في رمضان، ولو كانت العمرة

---

(١) صحيح البخاري: رقم (١٨٦٣)، صحيح مسلم: رقم (١٢٥٦).
(٢) صحيح مسلم: رقم (١٢٥٦/ ٢٢٢).

أفضل لقدّم الأفضل.

وأمَّا تخصيص بعض الناس ليلة سبع وعشرين من رمضان بالعمرة فهو اجتهاد منهم؛ لأن تلك الليلة مباركة في شهر مبارك وبلد مبارك.

والذي يظهر أن التفرغ للعبادة في العشر الأواخر من رمضان بما فيها ليلة سبع وعشرين أفضل من العمرة اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام إذا دخل العشر جدَّ واجتهد وشدَّ المئزر وأيقظ أهله[1].

والعمرة تحتاج إلى سفر وقد يفوته من العبادات ما هو أفضل من السفر إلى العمرة؛ ولأن السفر فيه مشَّقة فقد يكسل عن العبادة باقي تلك الليلة والمشروع قيام ليالي العشر للعبادة ومناجاة الله.

وقد يحصل من المسافر ما يخل بالآداب في العشر، لذلك فإن التفرغ للعبادة أفضل من السفر إلى العمرة في العشر الأواخر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين،،،

---

(١) صحيح البخاري: رقم (٢٠٢٤).

أعمال الحج

لتوضيح أعمال الحج للقارىء: قسمها الشيخ لثلاثة أحاديث لكل منها عنوان:

الحديث الأول

يوم عرفة

الحمد لله على فضله وكرمه، وعلى جوده وإحسانه، وعلى رحمته ومغفرته.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأنه واحد في ذاته وفي أسمائه وصفاته وأفعاله وفي أمره ونهيه وتشريعه.

اللهمَّ صلِّ وسلّم على النبي الكريم والرسول الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد: فإن يوم عرفة يوم مبارك لا يعرف قدره إلاَّ من عرف ربَّه ولا يعرف فضله إلاَّ من عرف نفسه.

وفضله مشهور لدى العارفين، فهو يوم أتم الله فيه لأمَّة محمد صلى الله عليه وسلم دينها وأتم عليها النعمة، قال تبارك وتعالى: ((الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)) [1] نزلت يوم عرفة وهو

---

(١) سورة المائدة آية:٣.

عيد لأهل الإسلام يشرع صيامه للمقيمين ويكفِّر أوزار سنتين لما روى مسلم رحمه الله عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة، قال: {يكفِّر السنة الماضية والباقية}[1]، أمَّا من كان بعرفة فالسُّنَّة له الفطر ليتقوى على الدعاء والذكر؛ ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مفطراً يوم عرفة وقال: { لتأخذوا مناسككم }[2]، وأرسلت إليه أم الفضل بلبنٍ فشربه[3].

وهو يومٌ أقسم الله به في كتابه، فهو الشفع المذكور في سورة الفجر وأمَّا الوَتْر فهو يوم النحر، وقيل إنه الشاهد، والمقسم به في سورة البروج ((وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)) والمشهود يوم الجمعة.

ورَدَ أنه أفضل الأيام، وهو الحجّ الأكبر، وهو يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عن الآثام، وهو يوم المباهاة بأهل الموقف والعتق من النار.

فليحذر المسلم من الذنوب التي تمنع من المغفرة والعتق من النار.

أخي المسلم:

إذا كنت تطمع في العتق من النار فاشترِ نفسك من الله وأتْبع السيئة الحسنة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١١٦٢).
(٢) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٢٩٧).
(٣) رواه الترمذي في سننه: رقم (٧٥٠).

تمحها، ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)) [1] واشترى عامر بن عبدالله بن الزبير رحمه الله نفسه من الله ست مرات يتصدق بها، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يُسبح كلّ ليلة أثنتي عشرة ألف تسبيحة يفك بذلك نفسه.

من عرف ما يطلب، عليه ما يبذل، وقد رضي الله تعالى منك أخي المسلم بشراء نفسك بالندم، ورضي منك بالتوبة ثمناً لها، وفي اليوم المبارك يوم عرفة رخص السعر.

فمن ملك لسانه وسمعه وبصره غفر له روى الإمام أحمد رحمه الله بسند صحيح قال: سمعت عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كان يقول: فلانٌ رِدْف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجّ، فجعل الفتى يلاحظ النساء وينظر إليهن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ابن أخي إنَّ هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له} [2].

فمُدّ إلى الله يد الاعتذار، وقم على بابه بالذل والانكسار، وأرق دموع الندم على صفحة خدك، وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين.

---

(١) سورة التوبة آية: ١١١.
(٢) صحيح ابن خزيمة: رقم (٢٨٣٢/٢٨٠)

قال ابن المبارك: جئت إلى سفيان الثوري رحمه الله عشيّة عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان فالتفت إليَّ فقلت: من أسوأ هذا الجمع حالاً؟، قال: الذي يظن أن الله لا يغفر له.

فيوم عرفة يوم النفحات الربانية والافاضات الإلهية، يتصاعد إليه أصوات المتضرعين وأنين الخائفين وبكاء النادمين وأزيز صدور التائبين، فيباهي الله بأهل الموقف ملائكته يقول: انظروا إلى عبادي جاءوني شُعثاً غبراً من كلّ فجٍّ عميق، فما أراد هؤلاء فيجيب دعواتهم ويرحم انكسارهم وينزل عليهم الرحمة ويغفر الله لأهل الموقف ويعتقهم من النار.

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنوا، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء}[1]، أخرجه مسلم والنسائي.

وفي يوم عرفة يخزي الله إبليس ويدحره، فيهرب هو وجنوده إلى قمم الجبال لما يرى من تنزل الرحمة والمغفرة لضيوف الرَّحمن.

روى مالك عن طلحة بن عبيد الله بن كريز رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {ما رؤي الشيطان يوماً فيه أصغر ولا أدحر ولا

---

(١) صحيح مسلم: رقم (١٣٤٨).

أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة}[1] وما ذاك إلاَّ لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، ويباهي الخالق تعالى بأهل الموقف ويفيض عليهم من رحمته ومغفرته. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثاً غبراً ضاجّين من كلّ فجٍّ عميق يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروا عذابي، فلم يُرَ يومٌ أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة}[2]، ومن فضل الله وجوده وسعة رحمته يهب المسيئين يوم عرفة للمحسنين ويعطي المحسنين ما طلبوا إلاَّ التبعات التي بين الناس من حقوق بني آدم فيتعلق به رضاهم ومسامحتهم.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة: {أيها الناس إنَّ الله عزَّ وجلَّ تطوَّل عليكم في هذا اليوم فغفر لكم إلاَّ التبعات فيما بينكم ووهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما شاء الله فادفعوا باسم الله}[3].

---

(١) الموطأ: رقم (٩٢٩).
(٢) مجمع الزوائد: ٣/٢٥٣.
(٣) مجمع الزوائد: ٣/٢٥٦.

فيا أخي الحاج هذه فرصتك، فأنت في ميدان السباق إلى الجَنَّة وفي يومٍ ينظر الله فيه اليك، وفي سوق شراء النفس واعتاقها من النار، فاحرص على ضبط هذه الفرصة فقد لا تدركها في عام آخر، واحذر من تضييع وقتك في المسليات والكسل والخمول فأنت في ساعة يجب الجد فيها والتشمير عن السواعد، من طَلبَ الجَنَّة بذل ثمنها، ومن خاف من النار أدلج في الهروب عنها، علّق قلبك بالله واجعل لسانك دائماً رطباً من ذكر الله، وانصح لله في توبتك وأكثر من الأعمال الصالحة، وأكثر من الاستغفار والتحميد والتهليل والتلبية والتوحيد، واستحضر عظمة ربك وتذكر سعة رحمته وأظهر ضعفك بين يديه واطلب حاجتك منه وألحَّ في الدعاء.

وأكثِر من قول لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، اللهمَّ اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً ويسر لي أمري. وهي أفضل ما قيل في يوم عرفة، ويدعو بما أحب وبما ورد أفضل، ومما ورد: اللهمَّ إنَّك ترى مكاني وتسمع كلامي وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وابتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وذلَّ لك جسده وفاضت لك عيناه ورغم لك أنفه، يامن لا يشغله

سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات، يا من لا تغلبه المسائل ولا تختلف عليه اللغات أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك برحمتك يا أرحم الراحمين.

لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد، اللهمَّ أهدني بالهدى وقني بالتقوى واغفر لي في الآخرة والأولى. يرفع يديه؛ يكررها حتى أفاض.

وسُمع سفيان الثوري يقول: إلهي من أولى بالزلل والتقصير مني وقد خلقتني ضعيفاً، ومن أولى بالعفو عني منك وعِلْمك فيّ سابق وأمرك بي محيط، أطعتك بإذنك والمنة لك وعصيتك بعِلمك والحجة لك، فأسألك بوجوب حُجّتك وانقطاع حُجّتي وبفقري إليك وغناك عني أن تغفر لي وترحمني، إلهي لم أحسن حتى اعطيتني ولم أسيء حتى قضيت علي. اللهمَّ أطعتك بنعمتك في أحب الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلاَّ الله ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك الشِّرك بك فاغفر لي ما بينهما، اللهمَّ أنت أنيس المؤمنين لأوليائك وأقربهم بالكفاية للمتوكلين عليك، تُشاهد ما في ضمائرهم وتطَّلع على سرائرهم، وسِرّي لك اللهمَّ مكشوف وأنا إليك ملهوف، إذا أوحشتني الغربة أنْسَتني ذكرك، وإذا صَبَبْتَ إليّ الهموم لجأتُ إليك استجارة بك، عِلماً أن أزمّة الأمور بيديك ومصدرها عن قضائك.

وكان عمر رضي الله عنه يقول: الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

والوقوف بعرفة هو عمدة أعمال الحجّ، روى البيهقي في السنن عن عبدالرحمن

بن يعمر الديلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: {الحجّ عرفات ثلاثاً، فمن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك}[1] أي أدرك الحجّ.

ووقت الوقوف بعرفة كما هو معمول به ولله الحمد في هذا العهد المبارك من طلوع فجر يوم عرفة إلى طلوع الفجر يوم النحر فمن وقف بعرفة ساعة من ليل أو نهار في ذلك الوقت صحَّ حجُّه، إلاَّ أنه إن وقف بنهار لم يدفع من عرفة حتى تغرب الشمس، فإن دفع قبل الغروب فعليه دمٌ لقول جابر رضي الله عنه: ووقف صلى الله عليه وسلم بعرفة حتى غربت الشمس، وفي حديث علي وأسامة بن زيد رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع من عرفه حين غربت الشمس[2].

روى البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشيّة عرفة لأمَّته بالمغفرة والرحمة، فأكثر الدعاء فأوحى الله إليه أني فعلتُ؛ إلاَّ ظُلم بعضهم بعضاً، وأمَّا ذنوبهم فيما بيني وبينهم فقد غفرتها فقال: يا ربّ إنَّك قادرٌ على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلَمَته وتغفر لهذا الظالم، فلم يجبه تلك العشية

---

(١) رواه الترمذي في سننه: رقم (٢٩٧٥)، وابن حبان في صحيحه: رقم (٣٨٩٢).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي:٥/١١٤، ١١٥.

فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله أني قد غفرت لهم، قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض أصحابه: يا رسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تتبسم فيها ، قال: تبسمت من عدو الله إبليس إنه لما علم أن الله قد استجاب لي في أمتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثو التراب على رأسه}[1].

قال المنذري فلما كان بجمعٍ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد غفر لصاحبكم وشفع في طالحكم تنزل الرحمة فتعمّ، ثم تفرق المغفرة في الأرض فتقع على تائب من حفظ لسانه ويده.

فإذا أسفر الحاج أفاض من مزدلفة إلى مِنى قبل طلوع الشمس والحديث الذي بعد هذا سيكون إنَّ شاء الله في الدفع من مزدلفة إلى منى وما يفعله الحاج بعد ذلك.

فنسأل الله أن يرحمنا مع حجاج بيته وأن يشملنا بعفوه ورحمته وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي:٥/١١٨.

الحديث الثاني
عن ليلة جَمْعٍ (مزدلفة)

الحمد لله ربّ العالمين أكرم ضيوفه، وباهى بهم ملائكته، ويسَّر لهم أداء الركن الأعظم في الحجّ، الوقوف بعرفة، فالحمد لله على لطفه وكرمه وجوده. وأصلي وأسلم على نبيّه وحبيبه محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم وأحسن في اقتدائه.

أمَّا بعد: فكان ضيوف الله قبل قليل في صعيد عرفات، ضاجين لله ضاجين بالتلبية والذكر والتكبير والتوحيد، وكانوا في خارج الحرم، فلما غربت الشمس يوم التاسع من ذي الحجة دفعوا إلى مزدلفة، فقربوا إلى بيت الله، ودخلوا في حدود حرم الله قد غفر الله لهم ووهب مُسيئهم إلى محسنهم، وخرجوا من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم فيالها من فرحة ويالها من مفخرة، ويالها من حظ عظيم.

ولقد كان من خوارق العادات ومن المعجزات أن ينتقل هذا الجمع الكبير من عرفات إلى مزدلفة في ساعات قليلة بيسر وسهولة وراحة واطمئنان وأمن وخير وأمان، بسبب ما تفعله الدولة من مشاريع وقدرة الله تعالى فوق التصور ولطفه بضيوفه فوق الإدراك.

ولو أن جيشاً مدرباً مهيئاً مستعداً يبلغ ربع العدد فصاح به صفارة الإنذار

ما استطاع أن ينتقل من مكان إلى مكان في مثل هذا الزمن القصير.

فجزى الله القائمين على خدمة الحرمين وخدمة ضيوف الرَّحمن خير الجزاء وأدام عزَّهم وتوفيقهم، فقد ذللوا الصعاب وعدَّدوا المداخل والمخارج والمسارات للركبان والمشاة ووجهوا السير ووفروا لضيوف الله كلّ المتطلبات الضروريات والكماليات وما ذلك إلاَّ بتوفيق الله وإعانته وتسهيله ورعايته فلله الحمد والمنَّة.

وهاهم ضيوف الله في مزدلفة ولها ثلاثة أسماء: تسمى ليلة جمع؛ لاجتماع الناس فيها، وتسمى مزدلفة؛ لأن الحُجَّاج إذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا إليها أي قربوا، وتسمى بالمشعر الحرام لقوله تعالى: ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ)) (١).

وأول ما يبدأ به الحاج إذا وصل إلى مزدلفة يُصلِّي المغرب والعشاء جمعاً وقصراً بأذان وإقامتين، إن أدرك مع الإمام أو نائبه أمير الحجّ، وإلاَّ مع الرفقة، وإلاَّ فوحده، ثم يصلح رَحلَه وشأنه، ثم يضطجع اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. والناس في ذلك الجمع مستريحون متفرغون وبعضهم يقرب من بعض والليلة المقمرة، وليس هناك خيام ولا ستور، فقد يحصل شقاق وخلاف أو خروج عن

(١) سورة البقرة آية:١٩٨.

طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بسبب المنازل، وقد يرى الحاج من زوجته ما يحرك شهوته ويقول له إبليس هذه ليلة مباركة، وقد ارتاح بعد تعب السفر فيجامع زوجته طلباً لبركة الولد، فليحذر الحاج كلّ الحذر فإن ذلك من وسواس إبليس ليفسد عليه حجَّه.

وليعلم الحاج أنه حال إحرامه في عبادة يناجي ربه ويتضرع إليه، فينبغي أن يكون على أكمل الآداب وأفضل الأخلاق وأجمل الأحوال، لا سيما في المشاعر المقدسة، مِلَّة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسُنَّة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم، وليعلم الحاج أنه أحرم لله وحرَّم على نفسه محظورات الإحرام طاعة لله وتقرباً إليه، فليفِ بوعده مع الله وليحذر ما حذره الله منه.

قال تعالى: ((الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ)) (١)

فهذه الثلاثة المذكورة في الآية الكريمة هي أصول محظورات الإحرام، والرفث هو الجماع ودواعيه من القُبْلة والمباشرة واللمس بشهوة والضم وتكرار النظر لتلذذ، والتحدث بذلك في حضرة النساء، والفسوق: هو الخروج عن طاعة الله

(١) سورة البقرة آية:١٩٧.

وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والفسوق محرَّم في المشاعر وغيرها حال الإحرام وغير الإحرام وفي قرب بيت الله وفي حرمه يكون تحريمه آكدْ، ويدخل تحت مسمى الفسوق جميع المعاصي كبيرها وصغيرها، ومحظورات الإحرام كلها من الفسوق، ودعاء غير الله والاستعانة بغير الله وطلب الغوث والمدد من غير الله فيما لا يقدر عليه إلاَّ الله من الفسوق المحرم.

والحجّ المبرور هو الذي يطاع الله فيه ولا يعصى، روى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه}(١).

وليعلم الحاج بأن الجماع حال الإحرام وقبل التحلل الأول حتى بعد الوقوف بعرفة مفسد للحج، فمن جامع قبل التحلل الأول فأولج سواء أنزل أو لم ينزل فقد عصى ربَّه واتبع هواه وترتب عليه أربعة أشياء:

فساد حجّه: ويلزمه المضي في ذلك الحجّ الفاسد فيعمل ما يعمل الناس ويذبح بدنة، ويقضي حجه في العام القادم.

أمَّا إن كان الجماع بعد التحلل الأول أي بعد رمي جمرة العقبة والحلق أو طواف الإفاضة فيلزمه ذبح شاة وحجه صحيح.

---

(١) صحيح البخاري: رقم (١٥٢١).

أمَّا إن باشر قبل التحلل الأول أي دون الفرج فإن أنزل فعليه بدنة وحجّه صحيح، وإن لم ينزل فعليه شاة.

والمباشرة بعد التحلل الأول إن أنزل فعليه شاة، وإن لم ينزل فلا شيء عليه، والتحلل الأول يكون يوم العيد إذا رمى جمرة العقبة وحلق، أو طاف طواف الإفاضة وحلق، أو طاف ورمى.

والتحلل الأول يُبيح المحظورات إلاَّ النساء.

والتحلل الثاني إذا رمى جمرة العقبة وطاف وحلق أو قصَّر حلَّ له كلّ شيء حتى النساء.

ومزدلفة ما بين مأزمي عرفات أي المضيق الذي بين مزدلفة وعرفات إلى وادي محسّر، وهو الفاصل بينها وبين مِنى.

ولا ينبغي لأهل القوة أن يخرجوا من مزدلفة حتى يطلع الفجر، ويؤدون صلاة الفجر فيها، وحتى يسفروا اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم ولقوله صلى الله عليه وسلم: {لتأخذوا مناسككم}[1]، {ومزدلفة كلها موقف}[2].

وقد رخَّص رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمعٍ لضعفة الناس، وهم النساء والصبيان وكبار السن والمرضى ويكون معهم من يخدمهم ويرشدهم، أن ينصرفوا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٢٩٧).
(٢) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٢١٨٩).

من مزدلفة بعد نصف الليل، لقول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (أنا فيمن قَدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة في ضعَفة أهله) متفق عليه، ومنتصف الليل تلك الليلة عند غياب القمر.

فمن أفاض من مزدلفة قبل نصف الليل فعليه دم؛ لأنه ترك واجباً، ومن تأخر عن مزدلفة حتى طلع الفجر فعليه دم؛ لأنه فاته واجب.

فإذا صلَّى الفجر بمزدلفة أخذ يدعو فيحمد الله ويهلّله ويكبره، ويدعو ويقول: اللهمَّ كما أوقفتنا فيه وأريتنا إياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك: ((فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ))[1].

والتلبية بمزدلفة وردت بها السُنَّة والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم وبعض الصالحين.

روى مسلم عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال بجمع: سمعتُ الذي نزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المقام: {لبيك اللهمَّ لبيك}، وفي رواية: {ثم لبَّى ولبَّيْنا معه}[2].

قال الفريابي: كنت في مزدلفة أحيي الليل فإذا امرأة تصلي إلى الصباح

---

(١) سورة البقرة آية:١٩٨.
(٢) صحيح مسلم: رقم (١٢٨٣-٢٧١).

ومعها شيخ سمعته يقول: اللهمَّ إنَّا قد جئناك من حيث تعلم وحججنا كما أمرتنا، ووقفنا كما دللتنا، وقد رأينا أهل الدنيا إذا شاب المملوك في خدمتهم تذمَّموا أن يبيعوه وقد شبنا في خدمتك فأعتقنا.

وقال بعضهم:

إنَّ الكـرام إذا شابـت عبيـدهم في رقهـم عَتَقوهـم عتـق أبـرار

وأنت أكـرم أن تعْـدوك مكرمـة قد شبتُ في الرِّقِّ فأعتقني من النار

وفي ليلة مزدلفة استجاب الله دعاء نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه ما سأل لأمَّته، وجزع إبليس وأخذ يحثو على نفسه التراب.

روى البيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عشية عرفة لأمَّته بالمغفرة والرحمة، فأكثرَ الدعاء فأوحى الله إليه أني فعلتُ إلاَّ ظلم بعضهم بعضاً، وأمَّا ذنوبهم فيما بيني وبيهم فقد غفرتها، فقال: {يا ربّ إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته وتغفر لهذا الظالم}، فلم يجبه تلك العشية فلما كان غداء المزدلفة أعاد الدعاء فأجابه الله عزَّ وجلَّ إني قد غفرت لهم، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض أصحابه: يا رسول الله تبسمت في ساعة لم تكن تتبسم فيها؟، قال: {تبسمت من عدو الله إبليس لما علِم أن الله قد استجاب لي في أمَّتي أهوى يدعو بالويل والثبور ويحثوا التراب على رأسه}[1]، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: {وقف صلى الله عليه

(١) السنن الكبرى للبيهقي:٥/١١٨.

وسلم بعرفة حتى غربت الشمس}[1]، وفي حديث علي وأسامة بن زيد رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع من عرفة حين غربت الشمس.

فمن دفع من عرفة قبل غروب الشمس فحجُّه صحيح وعليه دم، إلاَّ إنْ رجعَ إليها بعد غروب الشمس ووقف ولو قليلاً، ثم دفع فلا يلزم دم.

وإن تهيأ للدفع ونقل متاعه وركب في السيارة قبل الغروب ولم يخرج من عرفات إلاَّ بعد الغروب فلا شيء عليه.

نسأل الله أن يغفر لنا ولجميع المسلمين وأن يرحمنا برحمته وأن يعتقنا من النار، وأن يعصمنا فيما بقي من أعمارنا، وأن ييسر لحجاج بيته أداء أنساكهم في صحة وسعادة وهناء، ورحمة من الله ورضوان.

وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛؛؛

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي:٥/١١٤، ١١٥.

الحديث الثالث

أيَّام منى

الحمد لله ربّ العالمين، أكمل ديننا، وأتم علينا نعمه، ورضي الإسلام لنا ديناً.

وأصلي وأسلم على النبي الكريم والمعلّم البليغ والمشرّع الأمين وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بالإحسان.

أمَّا بعد: فكان حجاج بيت الله بالأمس في الصباح الباكر متوجهين إلى عرفات وهي خارج الحرم، ثم دفعوا منها بعد غروب الشمس إلى المزدلفة وباتوا فيها، وفي يوم عيد الأضحى أفاضوا من مزدلفة قبل طلوع الشمس إلى مِنى والبيت العتيق، إنه تنظيم وترتيب إلهي له أهداف سامية ومقاصد إسلامية عالية.

سُئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك كما أخرجه المنذري[1] رحمه الله عن أبي سليمان الداراني قال: سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الوقوف بعرفة بالجبل ولِمَ لَمْ يكن في الحرم؟، قال: لأن الكعبة

---

(١) الترغيب والترهيب: ٢٠٦.

بيت الله والحرم باب الله فلما قصدوه وافدين أوقفهم بالباب متضرعين، قيل: يا أمير المؤمنين فالوقوف بالمشعر الحرام؟، قال: لأنه لما أذِن لهم بالدخول إليه أوقفهم بالحجاب الثاني، وهو المزدلفة، فلما طال تضرعهم أذِن لهم بتقريب قربانهم بمنى، فلما أن قضوا تفثهم وقربوا قربانهم فتطهروا من الذنوب التي كانت عليهم أذِن الله بالزيارة إليه على الطهارة، قيل: يا أمير المؤمنين ومن أين حُرِّمَ الصيام أيام التشريق؟، قال: لأن القوم زاروا الله وهم في ضيافته ولا يجوز للضيف أن يصوم دون إذْن من أضافه، قيل: يا أمير المؤمنين فتعلُّق الرجل بأستار الكعبة لأي معنى هو؟، قال: هو مثل الرجل بينه وبين صاحبه جناية فيتعلق بثوبه ويتوسل إليه ويخضع له ليهب له جنايته رواه البيهقي[1] وغيره، ورواه أيضاً عن ذي النون، قال المنذري: وهو عندي أشبه والله أعلم.

وأمامه في هذا اليوم ثلاثة أمور:

رمي جمرة العقبة، وهي التي تلي مكة.

وطواف الإفاضة.

والحلق أو التقصير، والحلق أفضل.

فمن رمى العقبة وحلق حل التحلل الأول، ومن طاف وحلق حلّ التحلل

---

(١) شعب الإيمان: ٣/٤٦٨.

الأول، ويباح له ما كان ممنوعاً عنه من أجل الإحرام إلاَّ النساء، ومن رمى وطاف وحلق حلّ الحلَّ كله، يحلُّ له كلّ شيء حتى النساء.

والسُنَّة أن يُفيض الحاج من مزدلفة يوم العيد بعد الإسفار وقبل طلوع الشمس اقتداءً بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومخالفة لما كان عليه المشركون في الجاهلية، فكانوا لا يُفيضون من مزدلفة حتى تطلع الشمس.

ففي حديث محمد بن مخرمة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إنَّا لا ندفع من عرفة حتى تغرب الشمس، وندفع من مزدلفة قبل أن تطلع الشمس، هَدْينا مخالف لهدي عبدة الأوثان}، رواه البيهقي في معرفة السنن(١).

قال ابن القيم رحمه الله: ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزدلفة مردفاً للفضل بن عباس رضي الله عنهما وهو يلبي في مسيره.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ١٢٥/٥

وفي مجمع الزوائد: ٢٥٥/٣ (فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هذا الموضع إذا كانت الشمس على رؤوس الجبال.. وإنا ندفع بعد أن تغيب، وكانوا يدفعون من المشعر الحرام إذا كانت الشمس منبسطة) رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

وذكره ابن كثير في تفسيره٣٦٢/١ (وقال هكذا رواه ابن مردويه وهذا لفظه والحاكم في مستدركه.

وفي الطريق أمر صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضي الله عنهما أن يلتقط له حصى الجمار سبع حصيات، فالتقط له سبع حصيات من حصى الخذف، وأخذ صلى الله عليه وسلم ينفضهن في كفه، ويقول بمثل هؤلاء فارموا، وإيَّاكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين.

والخذف هو الرمي بحصاة صغيرة بين السبابتين، أكبر من الحمّص ودون البندق نحو حبة الباقلاء، وإن أخذ حصى الجمار كلها من مزدلفة فلا بأس. وعددهن للمتعجل تسع وأربعون حصاة، وللمتأخر سبعون حصاة على قدر حصى الخذف اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخذ النسك عنه صلى الله عليه وسلم.

فإذا وصل الحاج إلى مِنى قصد إلى جمرة العقبة، فإذا وصل إليها قطع التلبية، ورماها بسبع حصيات الواحدة تلو الأخرى، يُكبر مع كلّ حصاة، فيقول: باسم الله والله أكبر، ويحرص على أن تقع في الحوض، وإذا كان في الطابق الثاني يلقيها في الفتحة المهيأة لها وهي تسقط على الحوض، ولا يقف عندها.

والعقبة خارج حدود مِنى فليست منها.

والجمرات: اسم لمجتمع الحصى، وقيل: لأن العرب تسمي الحصى الصغار جماراً، فسميت بذلك تسمية الشيء بلازمه.

وسميت مِنى بهذا الاسم قيل: لكثرة ما يُمنى فيها من الدماء أي يُراق، وقيل:

لأن آدم عليه السلام قال له جبريل تمنَّ: منها تمنّ فقال: أتمنى الجَنَّة.

ويقول بعد رمي جمرة العقبة: اللهمَّ اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً.

ولا يجوز للمسلم أن يرمي بأكثر من سبع حصيات، ولا أن يرمي دفعة واحدة بأكثر من حصاة، ولا أن يرمي بالشباشب والنعال، ولا بالحجارة الكبيرة التي مثل البندق أو أكبر.

وأصل مشروعية رمي الجمرات أنه لما فرغ أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من بناء البيت أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فأراه الطواف، ثم أتى به جمرة العقبة فعرض له الشيطان، فأخذ جبريل عليه السلام سبع حصيات وأعطاها إبراهيم، وقال له: ارم وكبِّر حتى غاب الشيطان، ثم أتيا الجمرة الوسطى فعرض لهما الشيطان ففعلا كما تقدم، ثم أتيا الجمرة القصوى فعرض لهما الشيطان ففعلا كذلك.

فالحكمة في مشروعية الجمرات: لإقامة ذكر الله وطاعة الرَّحمن ودحر الشيطان، روى الإمام أحمد رحمه الله عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إنما جعل الطواف بالبيت وبالصفا والمروة ورمي الجمرات: لإقامة ذكر الله تعالى}[1].

---

(١) رواه الترمذي في سننه: رقم (٩٠٢)، وأبو داود في سننه: رقم (١٨٨٨) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وإذا ضاقت مِنى بالحجاج ولم يجد أحدٌ مكاناً ينزل فيه، جاز له أن ينزل في أي مكان يلي منى، قبل مزدلفة ولا دم عليه إن شاء الله؛ لأنه معذورٌ.

ثم إذا رمى جمرة العقبة فإذا كان معه هدي ذبح هديه أو نحره وحلق رأسه أو قصر، والحلق أفضل، وقد حلّ التحلل الأول فيباح له ما كان ممنوعاً منه من أجل الإحرام إلاَّ النساء، وإن كان متمتعاً ذبح فدية التمتع، وكذلك إن كان قارناً، وإن كان مفرداً فلا دم عليه.

ثم يُفيض إلى مكة المشرفة ويطوف بالبيت طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحجّ ويسعى بين الصفا والمروة، إلاَّ أن يكون قارناً أو مفرداً وسعى مع طواف القدوم كفاه السعي الأول، وبرمي جمرة العقبة، والطواف بالبيت والسعي، والحلق أو التقصير قد حلَّ الحلّ كله، ويحلّ له ما كان محظوراً عليه بالإحرام حتى النساء، والسُنَّة فعل النبي صلى الله عليه وسلم: الرمي، ثم الذبح، ثم الحلق، ثم الطواف، ثم السعي، فإن قدَّم الطواف والسعي على الرمي فلا بأس أو قدَّم ذبح الهدي على الرمي والطواف فلا بأس؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: {اِفْعَل ولا حرج}[1].

ثم إذا طاف بالبيت وسعى، يرجع إلى منى ويبيت فيها ليالي التشريق الثلاثة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٣٠٦).

إن تأخر أو ليلتين إن تعجل، فأيام منى ثلاثةٌ غير يوم العيد فمن تعجل فلا إثم عليه، وأهل منى يكبرون بعد الصلوات المكتوبة مثل أهل الأمصار، ويرمي الحاج الجمرات الثلاث كلّ يوم من أيام منى بعد زوال الشمس، كلّ واحدة بسبع حصيات، يكبِّر مع كلّ حصاة، يرمي الواحدة تلو الأخرى، يبدأ بالجمرة الأولى التي تلي مسجد الخيف، لحديث جابر في صفة حجّة النبي صلى الله عليه وسلم، وأهل الأعذار يجوز لهم الرمي في الليل مثل السقاة والرعاة ومن في حكمهم.

وترتيب الجمرات شرط في صحة الرمي، وينتهي وقت الرمي بانتهاء اليوم الثالث من أيام منى، فمن أخَّر شيئاً من الرمي قضاه في وقته، فإذا فات الوقت لزم الفداء؛ شاة.

ويجوز لمن يشق عليه الرمي أو لا يتمكن من الرمي أن يوكّل من يرمي عنه، فيرمي جمراته السبع أولاً ثم يرمي حصيات موكله الواحدة بعد الواحدة، ومن تعجل في يومين ونقل رحله إلى السيارة وأدركه الليل أو حبسه الزحام قبل خروجه من منى، استمر في تعجله، أمَّا إن أدركه المبيت ليلة الثالث من أيام منى وهو مقيم في منى لزمه المبيت ورمي الجمرات من الغد بعد الزوال.

ويلاحظ الحاج أن منى امتازت بأمور منها أنها تتسع لمن دخل فيها من الحُجَّاج رغم ضيقها في رأي العين، ومنها أن الحدأة لا تخطف اللحم فيها،

ومنها أن الذباب لا يقع في الطعام، ومنها أن البعوض فيها قليل مع توفر أسباب تواجده، وهذا فضل من الله ورحمته.

فإذا أراد الحاج الانصراف إلى أهله، وجب عليه طواف الوداع إلاَّ لعذر، فإن تركه بدون عذر فعليه دم.

أمَّا المعذور مثل الحائض والمريض فيسقط عنهم طواف الوداع إن شاء الله.

والحمد لله أولاً وآخراً.

اللهمَّ إنَّا نسألك حجَّاً مبروراً وعملاً صالحاً مقبولاً، ومغفرة لذنوبنا، ورحمة منك ورضواناً.

اللهمَّ يسِّر لحجَّاج بيتك مناسكهم وردَّهم إلى أهلهم سالمين غانمين برضوانك ومغفرتك يا حي يا قيوم، وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛؛؛

التجارة في الإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

تعريف التجارة في اللغة: البيع، والشراء.

قال في القاموس: يقال تاجر للذي يبيع ويشتري، والاسم تاجر، وجمع التاجر: (تِجَارٌ) على وزن كِتَاب، وتُجَّار على وزن عُمَّال، وتَجْرٌ على وزن صحب، وتُجُر على وزن كتب.

ويطلق اسم التاجر في اللغة أيضاً على الرجل الحاذق في الأمر.

والتجارة مصدر (تَجَر) على وزن دَخَل، والمصدر الآخر (تَجْرَ) على وزن فجر وصحب.

وأمَّا التجارة في اصطلاح العلماء فهي: التصرف في المال لطلب الربح الحلال كما ذكره الفخر الرازي[1] سواء كان حاضراً أو في الذمة وسواء كانت المبايعة بدَيْنٍ أو بعَين.

وفي عُرف الناس الآن التجارة أخص من البيع والشراء، والبيع أعم، فالتجارة لما يُعد للكسب وتنمية المال، والبيع: قد يكون للحاجة كدار للسكن.

والأموال قوة في وجه الأعداء، تؤسس بها المصانع وتشترى بها الآليات

---

(١) تفسير الفخر الرازي:٧/١٢٦.

ويواسى منها المحتاج، ويشترى بها آلات الجهاد، ويتقوى بها على طاعة الله؛ لذلك أمر الإسلام بحفظ الأموال فقال تعالى:((وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا))(١)

وقال تعالى: ((وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا))(٢) وقال تعالى:((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا))(٣)

وقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا))(٤)

وأمر بكتابة الدين للندب، وبالإشهاد على البيع؛ من أجل حفظ الأموال، وسدّ مداخل الشِّقاق والخلاف، كما في آية الدين في سورة البقرة.

كما أمر بالإنفاق من المال، فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ

---

(١) سورة النساء آية:٥.
(٢) سورة الإسراء آية:٢٦-٢٧.
(٣) سورة الإسراء آية:٢٩.
(٤) سورة النساء آية:٢٩.

الظَّالِمُونَ))[1]وقال تعالى: ((وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ))[2]وقال تعالى:((هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ)) [3] وقوله تعالى:((وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [4].

فالإسلام في التجارة وسط لا يرضى بالكسل والخمول، ولا يحلّ المكاسب المحرمة التي تعود بالضرر ولا يرضى بالتخزين والكنز والشح والبخل.

وكانت التجارة في الجاهلية الأولى تبنى على قاعدة واحدة هي: تكثير المال وجمعه من أي طريق دون مراعاة لقواعد التجارة الشرعية، ما يحلّ وما يحرم، وما هو طيب وما هو خبيث، وما هو نافع أو ضار، ودون مراعاة لشعور أحد، ودون لفتة إلى فقير أو مُعسر، يقولون: (إمَّا أن تقضي وإمَّا أن تربي)، وكانوا يُسلِفون على الماذيانات وقِبال الجداول، فجاء الإسلام فجعل لها نظاماً تسير عليه يحفظ المصالح ويدفع المفاسد.

ومن مقاصد الشريعة الأساسية إبقاء المودَّة بين المؤمنين والتعاطف والتراحم

---

(١) سورة البقرة آية:٢٥٤.
(٢) سورة آل عمران آية:١٨٠.
(٣) سورة محمد آية:٣٨.
(٤) سورة الحشر آية:٩.

والتعاون، ودفع كلّ ما يثير الشِّقاق والخلاف، فنهى عن كلّ ما فيه جهالة وغرر، ونهى عن الغش والغرر والجهالة في البيع وأمر بإنظار المعسر إلى مسيرة، وبالإحسان على الفقير واليتيم ومراعاة أحواله، فحثَّ على القرض والعارية وتفريج الكربات.

قال تعالى: ((وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)) (١) وقال صلى الله عليه وسلم: {من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة}(٢).

حكم التجارة في الإسلام:

إنها جائزة بالكتاب والسُنَّة والإجماع:

فمن الكتاب:

قال تبارك وتعالى: ((وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)) (٣)

وقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٨٠.
(٢) رواه مسلم في صحيحه: رقم (٢٦٩٩).
(٣) سورة البقرة آية: ٢٧٥.

رَحِيمًا)) [1]

وقوله تعالى: ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ)) [2]

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما جاء الإسلام تأثموا فيها -أي تحرجوا أن يفعلوا ما كانوا يفعلونه في الجاهلية- فأنزل الله تعالى هذه الآية وقوله تعالى: ((لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ))) [3]، يعني في موسم الحجّ.

وأمَّا السُنَّة:

فكان الناس يبيعون ويشترون ويتجرون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرَّهم على التجارة وأوصاهم بالصدق والنصح والسماحة، والمكاسب الحلال ونهاهم عن الغش والأيمان والكذب، والعقود الربوية، والمحرمة التي تؤدي إلى غرر، وإلى شقاق ونزاع.

ونهاهم أن تَشغَلهم أموالهم وتجارتهم عن أداء الواجب وعن ذكر الله.

قال تعالى: ((فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ

---

(١) سورة النساء آية:٢٩.
(٢) سورة البقرة آية:١٩٨.
(٣) صحيح البخاري: رقم (٢٠٥٠).

يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)) [1]

وقال عليه الصلاة والسلام: {التاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة}[2].

وقد رخَّص القرآن لمن يسعى في الأرض للتجارة في ترك قيام الليل، كما رخَّص للمريض والمجاهد في سبيل الله وأمره بقراءة ما تيسر من القرآن ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) [3]

وقد أجمع علماء الأمَّة على جواز البَيْع والتجارة بالطرق المباحة وبالصيغ المباحة، وفي الأوقات المباحة، كل العقود مباحة إلاَّ ما نصّ الشرع على تحريمه أو كراهيته.

---

(١) سورة النور آية: ٣٦-٣٧.
(٢) رواه ابن ماجة في سننه: رقم (٢١٣٩).
(٣) سورة المزمل آية:٢٠.

وأمَّا العقود المباحة، فهو ما وافق الشريعة، ولم يخالف ولم يُنه عنه.

وأمَّا الأوقات المباحة فهو ما عدا الممنوعة منها: مثل التجارة بعد النداء الثاني يوم الجمعة، فإن التجارة والبيع والشراء بعد الأذان محرَّمة والعقد باطل، لقوله تبارك وتعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ))[1] وقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))[2]

فالتجارة والبيع والشراء لا غنى للإنسان عنها، فلابد له من مأكول ومشروب وملبوس، فلا يخلو مُكلَّف غالباً من بيع وشراء، والواجب على المسلم أن يعرف أحكام التجارة أي: البيع والشراء لئلا يُقْدم على فعل لا يعرف حكمه في الشرع، فيقع في المحظور.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبعث من يُقيم من الأسواق من ليس بفقيه، ويقول: لا تفسدوا علينا معائشنا.

ومكاسب التجارة من الطيبات التي أمر الله بها المؤمنين كما أمر المرسلين فقال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ

---

(١) سورة الجمعة آية:٩.
(٢) سورة المنافقون آية:٩.

عَلِيمٌ)) [1]

وقال سبحانه:((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)) [2]

قال مجاهد: المراد بالطيبات هنا: التجارة.

وقال قتادة: من الطيبات، أي: من التجارة.

التجارة رزق من رزق الله، حلال من حلال لمن قصدها بصدقها وبرها.

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الكسب أطيب أو أفضل؟، قال: {عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور}[3].

وكان الخلفاء الراشدون وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من المسلمين يبيعون ويشترون ما يحتاجون إليه.

هناك تجارة واضحة الصحة والإباحة.

وهناك تجارة واضحة الحرمة والمنع، مثل: الرِّبا والسلع المحرمة كالخمر والخنزير والميتة.

وهناك أمور مشتبهات، فالواجب على المسلم أن يسْلك الطريق الواضح

---

(١) سورة المؤمنون آية:٥١.

(٢) سورة البقرة آية: ١٧٢.

(٣) رواه أحمد في مسنده:٥٠٢/٢٨ رقم (١٧٢٦٥).

وأن يتجنب الطريق الخبيث.

وأن يتحرَّج من المشتبهات، وأن يتركها، من أجل الله؛ لأن التمادي في المشتبهات يوقعه في المحرمات، {الاثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس}[1].

قال عليه الصلاة والسلام في حديث النعمان بن بشير: {الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعِرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقِعه[2]، ثم إنَّ لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب}[3].

فإذا ترك الإنسان ما يشتبه فيه، فهو لما تبيَّن من الحرام أشد تركاً، ومن تجرأ على ما يشكّ فيه يوشك أن يقع فيما استبان له، أي: استبان له أنه حرام.

هذه تجارة الإنسان مع الناس.

وهناك تجارة هي أربح التجارات وبيع هو أربح البيوع وهو التجارة مع ربّ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: رقم (٢٥٥٣).

(٢) وفي رواية يوشك أن يرتع فيه، ألاَ إنَّ لكل ملك حمى.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٥٢)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٥٩٩).

الناس.

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)) (١)

وقال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (٢) وقال تعالى: ((مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) (٣) وقال تعالى: ((مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (٤).

وأمَّا فائدة التجارة فهي تنمية المال وحفظه من التلف بسبب النفقات، والصدقات، روى الإمام مالك رحمه الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

---

(١) سورة الصف آية: ١١.
(٢) سورة التوبة آية: ١١١.
(٣) سورة البقرة آية: ٢٤٥.
(٤) سورة البقرة آية: ٢٦١.

رضي الله عنه أنه قال: (اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة) [1].

والأموال من حيث هي: محببة للنفوس بطبيعتها من أجل عمارة هذه الدنيا ومن أجل العمل وبذل الجهد في تحصيلها كما قال تعالى: ((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)) [2]

وقال تعالى: ((كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)) [3]

والإسلام ينظم حياة الناس وينظم معاملاتهم وتجاراتهم ومكاسبهم لتحقيق المصالح لجميع الطبقات، ودفع المفاسد عن الجميع، وإبقاءً للأخوة والمودَّة بينهم، ودفع كلّ ما ينغص القلوب، أو يفرّق الشمل ويكدر الصفو، فجعل نظاماً للتجارة، ويعرف بنظام المعاملات، أو البيوع.

والإنسان لا يحصل له إلاَّ ما قُدِّر له من المكاسب والأرزاق، وإنما الأسباب مطلوب فعلها، والعمل مطلوب قال تعالى: ((نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي

---

(١) رواه مالك في الموطأ: رقم (١٢) .
(٢) سورة آل عمران آية:١٤.
(٣) سورة الفجر آية:١٧-٢٠.

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) [1]،

انظر كيف فضل بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ((وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا)) [2]، {احرص على ما ينفعك ولا تعجز}[3].

{لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير...الحديث}[4].

والأموال فيها قوام حياة الناس، وفيها رفعة وعزة واستغناء بها عن حاجة الإنسان إلى الذلَّة والمسكنة ومسألة الناس.

وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

---

(١) سورة الزخرف آية: ٣٢.
(٢) سورة الإسراء آية: ٢١.
(٣) رواه مسلم في صحيحه: رقم (٢٦٦٤).
(٤) رواه أحمد في مسنده: ٤٣٨/١ رقم (٣٧٠)، والترمذي في سننه: رقم (٢٣٤٤).

الرِّبا والصرف [1]

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعد:

الرِّبا: مقصور يكتب بالألف، وبالواو، وبالياء.

والرِّبا: لغة الزيادة كما قال تعالى: ((فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)) [2]

أي زادت وعلت وارتفعت.

وقال تعالى: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ)) [3]

أي: أكثر وأزيد عدداً.

وشرعاً: زيادة منهي عنها في المعاملات (كلّ قرضٍ جرَّ نفعاً فهو رباً).

وحكم الرِّبا: محرَّم بالكتاب والسُنَّة والإجماع.

وهو كبيرة من الكبائر؛ لأن فيه وعيداً شديداً، كما في الآية:

---

(١) هذه محاضرة ألقيت في المعهد العالي للدعوة الإسلامية يوم الأحد ١٤٠٤/٥/١٨هـ بعد صلاة المغرب.

(٢) سورة الحج آية:٥

(٣) سورة النحل آية:٩٢

((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ))[1].

ولقوله صلى الله عليه وسلم: {لعن الله آكل الرِّبا وموكله وكاتبه وشاهديه}، وقال: {هم في الإثم سواء}[2].

والرِّبا من أشنع المعاملات وأعظم الذنوب، وأخبث النتائج، فلم يصف القرآن صاحب معصية: كما وصف به المرابي حيث قال تعالى: ((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ))[3].

وما هدَّد صاحب معصية كما هدَّد المرابي قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ))[4].

وما توعد على معصية بالتلف والخسار إلاَّ في الرِّبا. الرِّبا مآله إلى قِلّة وإن

---

(١) سورة البقرة آية:٢٧٥.
(٢) رواه الترمذي في سننه: رقم (١٢٠٦)، وأبو داود في سننه: رقم (٣٣٣٣).
(٣) سورة البقرة آية:٢٧٥.
(٤) سورة البقرة آية:٢٧٨،٢٧٩.

كثُر، وما جعل صاحب معصية محارباً لله ورسوله إلاَّ في الرِّبا.

وكل المعاصي أهون من الرِّبا خطراً وأقرب للتوبة، فإن المرابي ينبت لحمه ودمه وجميع ما يملك وأولاده وذريته من الرِّبا أي من السحت، وكل جسم نبت من سحت – أي من حرام – النار أولى به، فالتوبة صعبة إلاَّ على من هداه الله.

آكل الرِّبا يُبعث يوم القيامة مجنوناً يَرْجَح به بطنه فيصرع، جزاءً له على تلذذه بالربا وارتياح جسمه في هذه الدنيا بالمكسب الحرام وتركه لأمر الله من أجل تلذذه بالربا، ويجمّل مظهرُه ويقوي جاهه بالربا، فعوقب بسوء المنظر، وسقوط الحال وكسر النفس، فلا يساير ركب البعث إذا خرجوا من الأجداث سراعاً.

((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ))[1]

وفي حديث الإسراء مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم برجال بطنُ كلّ واحد منهم كالبيت الضخم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيُصرع، فقال له جبريل عليه السلام: هؤلاء أكلة الرِّبا[2].

آكل الرِّبا من حين يفارق الدنيا وهو في عذاب البرزخ ففي حديث المنام أن

---

(١) سورة البقرة آية:٢٧٥.

(٢) رواه أحمد في مسنده: ١٤/ ٢٨٥رقم (٨٦٤٠).

النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في نهر من دم يسبح فيه، وعلى حافة النهر رجلٌ عنده حجارة كبيرة، فإذا أراد أن يخرج ذلك السابح ألقمه حجراً في فيه، فيعود وهكذا، وقال: هذا آكل الرِّبا.

آكل الرِّبا: يعترض على حكم الله بتحريم الرِّبا فهو يستحله.

آكل الرِّبا: لم يرض بما قسم الله له من المكاسب الحلال، فأخذ يعمل بالربا.

الرِّبا: يوجب غضب الله ونقمته والمرابي عدو لله ولرسوله، ألا ترونه محارباً لله ولرسوله والحرب تكون بين الأعداء وما ظنكم بهزيمة من حارب الله.

أنظروا إلى المجتمعات التي تتعامل بالربا وليس فيها من أَمْرٍ بمعروف ولا تَناهٍ عن منكر، ولا متنكر ولا متمعر وجهه لله.

نرى ونسمع المصائب والرزايا والبلايا تُصب عليهم صباً تمحق أموالهم وتسحق ديارهم، مصائب في الأخلاق، وأمراض في الأبدان، وانهيار في الاقتصاد، يُضاف إلى ذلك أنواع العذاب في هذه الدنيا الحرّ الشديد المحرق، والبرد القارص المجمد، والفيضانات المدمرة، وتسلط اللصوص والتأميمات عليهم.

ومن العقوبات تفكك الأسرة وتباعد أفراد المجتمع، ففقدوا التآخي وخسروا التعاطف، وفقدوا لذة الحياة وراحة النفس، فهم في قلق دائماً.

كلّ هذا حرب من الله تدمّرهم فلا يستطيعون ردها ولا الفرار منها، إن المرابين صرعى من حرب الله لهم، فقدوا فَهْمَ النص الشرعي وغفلوا عن تصور

الوعيد الشديد ((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ))[1].

فلو تصور الناس معنى الآية لما حاموا حول الرِّبا.

الحكمة في تحريم الرِّبا:

قال بعض العلماء: إنما هو الاختبار والابتلاء، فحرَّم الله ما حرَّم من البيوع، وأحلَّ ما أحلَّ ليعلم من يطيع ومن يعصي، ولا يلزم في امتثال الأمر واجتناب النهي معرفة الحِكمة أو العِلّة، فلم يجعل الإنسان في هذه الأرض ليلعب بالمال كيف يشاء، بل له حدود، وشروط، وعليه عهد وميثاق، فمن وافق الشرع فيبشر بالخير، ومن خالف فهو مردود معاقب عليه.

وقال بعض العلماء: إنَّ التحريم لحكمة ظاهرة:

منها: أن الرِّبا يسدّ أبواب المكاسب الواسعة ويجعل الأموال تنحصر في أعداد قليلة، بينما ملايين الناس يُحرمون من حركة البيع والشراء.

فإذا انحصرت الأموال في عدد قليل أخذ المرابون يتحكّمون في اقتصاد الناس يرفعون السعر ويخفضونه كيف شاءوا ويلعبون بالأموال، ويحتكرون

---

(١) سورة البقرة آية:٢٧٥.

الأرزاق.

والمشاهد أن المرابين يتحكّمون حتى في السياسة ونظام الحكم في بعض البلدان في الانتخابات وكراسي الحكم والرئاسة.

وأيضاً أن المرابي لا يبالي بأي وسيلة يجمع منها المال ولا يعطف على فقير، فالمشروعات المدمرة للأخلاق؛ مثل دور السينما والرقص ومؤسسات التمثيل الماجن، مؤسسوها هم أكلة الرِّبا.

المرابون لا يريدون للإسلام قوة ولا نشاطاً ولا سلطاناً؛ لأن الإسلام يحرِّم معاملاتهم، ويشجب عملهم.

المرابون يحطمون الشعوب، ويفسدون أخلاق البشر، لتبقى الشعوب ضائعة غاطسة في مستنقع أسِّس من الرِّبا وفساد الأخلاق ليبعدوهم عن مصدر قوتهم وهو الله سبحانه وتعالى.

قال الدكتور (شاخت) الألماني مدير بنك الرايخ الألماني:

إنَّه بعملية رياضية غير متناهية يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جداً من المرابين، ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كلّ عملية، بينما المدين معرض للربح والخسارة، ومن ثم فإن المال في النهاية يصير إلى الذي يربح دائماً.

وقال: إنَّ معظم مال الأرض يملكه ملكاً حقيقياً بضعة ألوف، أمَّا جميع

الملاك وأصحاب المصانع الذين يستدينون من البنوك والعمال وغيرهم فهم أُجراء يعملون لحساب أصحاب المال.

وليس هذا وحده هو كلّ ما للربا من جرائم وأضرار، بل يؤدي إلى أن المرابي يحبس المال، ويحبس الإنتاج، لكي يرتفع السعر فيحصل على ربح أكبر، والمستهلك هو الضحية في معركة الرِّبا وهم الملايين من الناس.

الرِّبا والصدقة متضادان، فالصدقة: إنفاق للمال، وطاعة لله وتقرباً إليه.

والرِّبا: تحصيل المال بمعصية وقلَّة خشية، ولذلك ذكر الرِّبا بعد الصدقة: ((الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))[1]

الصدقة: لا تنقص المال بل تُبارك فيه {ما نقص مال من صدقة}.

والرِّبا ممحوق كمّاً وكيفية ((يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ))[2] فالخبيث لا يكون طيباً، والحرام لا يكون حلالاً، وليس من ضرورةٍ للربا لاستحلاله، فلا

---

(١) سورة البقرة آية ٢٧٤، ٢٧٥.
(٢) سورة البقرة آية:٢٧٦.

يموت الإنسان إذا لم يرابِي، ولا تنقطع عنه أسباب الرزق إذا لم يرابي؛ بل البيْع الحلال أنفع وأعظم بركة، وأجمل حالّاً وآجِلاً وإن قل، الرِّبا ممحوق وإن كثر. فالرَّبا خَبَث، مدخله ومخرجه، ومهما طُلي بطلاء براق، ومهما أثير حوله من أعذار، فإن الميزان هو ميزان الشريعة، وليس للآراء والاستحسانات قول مع نصوص الشريعة؛ لأنها تنزيل من خالق الإنسان الذي يعلم سرّ الأمور ومراميها، وإنما هو ابتلاء واختبار ينظر من الذي يقدّم الرغبة في كثير المال على طاعة الله، ومن الذي يفادي بكل غالٍ ونفيس في سبيل طاعة الله، وفي سبيل الله.

والإنسان لم يُترك في هذه الحياة مُهملاً، وإنما عليه دواوين وحفظة وكتبة والله مطّلع يسمع ويرى فيعاقب العاصي، ويثيب المطيع.

والإسلام حينما حرَّم الرِّبا لم يترك الناس بدون توجيه، بل أرشدهم إلى أفضل المكاسب وأطيب المعايش ((وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا)) [1] وما يُثار في الأوساط الاقتصادية بقول: إنَّ الرِّبا يقوي الاقتصاد، وأن الاقتصاد لا يصلح الآن أن يقوم على نظام الإسلام، فإنما هي دعاية كاذبة، وإرجافات من أعداء المسلمين، ودسائس من عَدونا المبين لإيقاف النفوذ الإسلامي.

---

(١) سورة البقرة آية:٢٧٥.

ومتى اعتمد المسلمون على ربهم، وفتحوا أبواب البَيْع الحلال، وطُرُق الكسب الطيب، وتقوية الحركة التجارية على نظام الإسلام، وترك الرِّبا، فإن الله سيعوضها خيراً مما تركت من أجله ويعينها على أعدائها، ويبارك لها في اقتصادها، والمجال مفتوح أمام المسلمين في إقامة نظام اقتصادي إسلامي طاهر رشيد.

وحيث عرفنا حكم الرِّبا وأضرار الرِّبا وأخطاره، فينبغي أن نعرف المعاملات الربوية؛ لنتجنبها.

القاعدة في مسائل الرِّبا ما روي في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {الذَّهب بالذهب، والورِق بالورِق -أي الفِضَّة-، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، فإذا اختلفت هذه الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد}[1].

فكل مكيل وموزون، فهو ربوي لا يباح بجنسه إلاَّ متساوي ويداً بيد مثل ذهب بذهب وبر ببر.

فإذا اختلف الجنس، جاز التفاضل إذا كان يداً بيد، إلاَّ ما يُستثنى من ذلك وهو مسألة السّلَم والعرايا.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٥٨٧).

وسواء كان المكيل والموزون قُوتاً أو غير قوت، مأكولاً أو غير مأكول. والعبرة بالكيل والوزن ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مكيل، أو موزون فهو ربوي، وإن ترك وزنه الآن، وما لم يكن كذلك فليس بربوي ككيل أو وزن مثلاً البطيخ والقرع والرمان والحيوان والثياب وما أشبه ذلك لم تكن مكيلات ولا موزونات، فليست ربوية.

والجنس اسم خاص تحته أنواع مختلفة بأنواعها.

والنوع: اسم لأشياء مختلفة بأشخاصها، وفرع الأجناس أجناس مثل الدقيق فلابد من التماثل، والتساوي بين أنواع الجنس الواحد في البيع واجب، فإذا جهل التساوي فكالعِلْم بالتفاضل.

ولذلك حرمت المحاقلة وهي بيع الحبّ في سنبله في الحقل.

والمزابنة: وهي بيع الرطب في رؤوس النخل بتمر، لعدم العلم بالتساوي، وبيع الرطب من التمر أو غيره بجنسه يابساً؛ لأنه ينقص إذا يبس، ولكن يبيع ما رغب عنه بيع آخر بجِنْسٍ آخر أو بنقد، ويشتري ما رغب منه.

بعث النبي عاملاً على خيبر فقدِم بتمر جنيب أي جيد، فقال عليه الصلاة والسلام: {أكُلُّ تمر خيبر هكذا؟} قال: لا والله يا رسول الله، إنما نشتري الصاع بالصاعين مِن الجمع، فقال عليه الصلاة والسلام: {لا تفعلوا، ولكن

مِثلاً بمثل، أو تبيعوا هذا واشتروا بثمنه من هذا وكذلك الميزان }[1] رواه مسلم.

ولا يباع جنس بجنسه، ومع أحدهما غيره، كبيع الذَّهب بالفصوص لوزنه ذهباً؛ لعدم التماثل، وإنما يباع بفضة.

والسلم مستثنى من القاعدة العامة في الرِّبا، نظراً إلى مسيس الحاجة إليه، فأبيح السلم بشروط. وهو عقد إلى أجل على موصوف في الذمة بثمن مقبوض في العقد.

ويشترط للسّلَمِ ما يشترط للبيع إلا أنه يجوز على معدوم:

١- أن يكون أحد العوضين نقداً.

٢- أن يقبض رأس مال السلم في المجلس (أي مجلس البيع).

٣- أن يكون إلى أجل له وقعٌ في الثمن.

٤- أن يكون المُسلَم فيه موصوفاً في الذِّمَّة ليتميز عن غيره.

٥- أن يكون موجوداً وقت الحلول.

كما أبيحت العرايا مستثناة من المزابنة للحاجة بشروطها:

أ- أن يكون المشتري محتاجاً إلى الرطب وليس عنده ما يشتري به إلاَّ تمراً.

---

(١) صحيح مسلم: رقم (١٥٩٣).

ب – أن يكون في أقل من خمسة أوسق[1].

جـ– أن يأكله رطباً فإن تركه حتى ييبس لم يصح.

د– الحلول والقبض قبل التفرق.

وسدّت الذرائع والحيل التي توصل إلى الرِّبا:

١– حرمت العينة.

٢– بيع الدين بالدين، بأن يجعل رأس مال السّلَم ديناً في الذمة وهو بيع الكالئ بالكالئ.

٣– كلّ قرض جر نفعاً فهو ربا.

المصارفة: بيع نقد بنقد سواء اتحد الجنس أو اختلف، وتصح بشروط:

١– وجوب التماثل في الجنس الواحد، ويجوز التفاضل بين جنسين بشرط التقابض.

٢– الحلول والتقابض قبل التفرق، فإن تفرقا قبل القبض أو أحدهما بطل العقد، ويجوز المصارفة لما في الذمم وهي المحاصة. والله أعلم وصلَّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعهم بإحسان.

---

(١) الوسق: مقداره ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وسلم.

تسهيل المهور

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإنه من نعم الله على البلاد وأهلها أن تكون ولايتهم في إمام عادل يخاف الله ويرجوه ويتأثر بتأثرات رعيته، يتحسس مشاكلهم الاجتماعية ويعيش في الجو الذي يعيشون فيه، ويعمل على حلّ المشاكل التي تواجه رعيته سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة.

وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله حينما يوجِّه عنايته لحل المشاكل التي تواجه هذا الشعب المؤمن السامع المطيع فإنما هو بدافع الإيمان بقواعد شريعة الإسلام التي تحثّ على الإخاء والتعاطف والتراحم، وبعاطفة الأبوّة والنصح والإخلاص لرعيته، أثابه الله وأدام توفيقه.

والدور الكبير والجهد العظيم الذي يقوم به أميرنا المحبوب أمير منطقة المدينة المنورة الأمير عبد المجيد بن عبدالعزيز، والعمل المتواصل لرفع مستوى هذا البلد المقدس والتماس الحلول المناسبة للمشاكل التي تواجه المواطنين في هذه المنطقة، إنما يدفعه إلى ذلك الإحساس بالمسؤولية وبعظم الأمانة التي حمَّله إياها خادم الحرمين الشريفين، والشعور بحق المواطنين، ومصدر ذلك كله القلب الطيب الناصح والحيوية المتحركة والرغبة في الخير والإصلاح.

وإلاَّ فنحن نعرف أنه ليس له من ذلك إلاَّ التعب النفسي والبدني وصرف

الطاقة الفكرية والزمنية، ومع هذا فهو يراها راحة له وأُنساً، فجزاه الله عن الجميع خيراً.

وإن هذا الاجتماع المبارك الذي ضم تحته خيرة من المسؤولين والمواطنين في هذه المنطقة نموذجاً لما أشرت إليه.

والشريعة الإسلامية حثَّت على الزواج وإحصان الفرج وتكثير النسل ورغبت في ذلك وجعلته عمل خير يثاب عليه، ولكن هناك مشكلة تقف أمام كثير من راغبي الزواج وهي مشكلة المغالاة في المهور والحفلات، فهي لا زالت تتصاعد وتتعقد، ولا زالت تتشعب وتتنوع، فبعض الناس إذا كانت عنده مناسبة انتفخت رئته وأراد أن يأتي بشيء لم يسبق إليه، وأن يكسب ثناء المدعوين، وأن يكون حفله أحسن من فلان وفلان، والواقع بالعكس يحصل على ذمِّ العقلاء من الناس.

ولكي نعرف الوجهة الشرعية في المهور والحفلات، ينبغي أن نعرف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

فقد روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم لأزواجه اثنتي

عشرة أوقية ونشًّا، أي نصفاً[١].

وروى النسائي عنها أيضاً أنها قالت: ما أصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية[٢].

وذكر الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه تزوج امرأة من الأنصار وأصدقها وزن نواة من ذهب[٣].

وتزوج علي رضي الله عنه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصْدقَها درعاً قديماً من حديد[٤].

وزوج النبي صلى الله عليه وسلم امرأة من رجل على ما معه من القرآن[٥]، وتزوجت امرأة مسلمة رجلاً على أن يُسلم، فأسلم فتزوجته[٦].

روى البيهقي عن أم العجفاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إيَّاكم والمغالات في مهور النساء، فإنها لو كانت تقوى عند الله أو مكرمة عند الناس

---

(١) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٤٢٦).
(٢): سنن النسائي: رقم (٣٣٤٩).
(٣): صحيح البخاري: رقم (٥١٥٥).
(٤) رواه أبو داود في سننه: رقم (٢١٢٥).
(٥) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٥٨٧١)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٤٢٥).
(٦) رواه النسائي في سننه: رقم (٣٣٤١).

لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاكم بها، ما نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من نسائه ولا أنكح واحدة من بناته بأكثر من ثنتي عشرة أوقية.[1] وهي أربعمائة درهم وثمانون درهماً.

وإن أحدكم ليغالي بمهر امرأته حتى تبقى عداوته في نفسه فيقول لقد كلفتُ لكِ عَلَق القِرْبة.

وجاء أبو حدرد يستعين النبي صلى الله عليه وسلم في مهر زوجته، فقال: {كم أصدقتها؟}، قال: مائتي درهم، فغضب عليه الصلاة والسلام وقال: {كأنكم تقطعون الذَّهب والفِضَّة من عُرض الحرة أو جبل}، ذكره القرطبي[2]، وفي رواية للنسائي: {لو كنتم تغرفون من بطحان ما زدتم}[3].

وحثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على القصد في الصداق، فروى النسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من أعظم النساء بركة أيسرهن صداقاً}[4]، وفي رواية: {أيسرهن

---

(١) رواه أبو داود في سننه: رقم (٢١٠٦)، والترمذي في سننه: رقم (١١١٤م).
(٢) الجامع لأحكام القرآن:٥/١٠١.
(٣) رواه أحمد في مسنده:٢٤/٤٤٦ رقم (١٥٦٧٧) والحاكم في مستدركه: ٢/١٧٨. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.
(٤): رواه الحاكم في مستدركه: ٢/١٧٨ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

مؤنة}[1].

وعنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من يُمنِ المرأة أن تتيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر وحمها}[2]، وقال الراوي عروة ابن الزبير: وعندي من أول شؤمها أن يكثر صداقها.

وقد أجمع العلماء على أن يستحب القصد في الصداق وتخفيفه؛ للأحاديث المتقدمة، وكره بعض العلماء الزيادة على صداق النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه أربعمائة إلى خمسائة درهم أي: اثنتي عشرة أوقية ونصف، وإنما الخلاف بينهم: هل تجوز المغالاة أو لا تجوز؟

فقال القرطبي والرازي في تفسيريهما عن بعض العلماء أنه لا يجوز المغالاة، وليس على جوازها دليل.

وآية النساء: ((وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا))[3] قالوا: ليس فيها دليل على الجواز؛ لأنه لا يلزم من جعل الشيء شرطاً لشيء آخر كون ذلك الشرط في

---

(١): رواه البيهقي في السنن:٢٣٥/٧

(٢) رواه أحمد في مسنده:٢٧/٤١ رقم (٢٤٤٧٨) والحاكم في مستدركه: ١٨١/٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) سورة النساء آية:٢٠.

نفسه جائز الوقوع؛ كقوله تعالى: ((لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا))[1] فلا يدلُّ على حصوله الآلهة. وقوله صلى الله عليه وسلم:{من قُتِل له قتيل فأهله بين خيرتين}[2]، ولا يلزم منه جواز القتل. وقوله صلى الله عليه وسلم: {من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجَنَّة}[3]، ولا يلزم منه جواز بناء مسجد كمفحص قطاة، وإنما هذه عادة العرب في كلامها تضرب المثل بالكثرة والقلَّة ولا يلزم من ذلك جوازه.

وإذا تأملنا حال الناس الآن، نجد كلّ واحد متذمر من الوضع ولا نجد أحداً مسروراً بالحالة الراهنة.

لكن الناس يحتاجون إلى قيادة يتبعونها ويقتدون بها، وإلى نظام يسيرون عليه، فلو اتفق كلّ أهل بلد على جعل عرف بينهم يُبنى على اليسر والسماحة في المهور والحفلات ويلتزمون باتباعه ويعيبون من يخالفه.

وأرجو أن تكون هذه الدعوة التي وجهها الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة المدينة المنورة بناءً على توجيهات خادم الحرمين الشريفين إلى عقد هذا

---

(١) سورة الأنبياء آية:٢٢.
(٢) رواه الترمذي في سننه: رقم (١٤٠٦)، وقال هذا حديث حسن صحيح.
(٣) رواه ابن ماجة في سننه: رقم (٧٣٨)،وابن خزيمة في صحيحه: رقم (١٢٩٢).

الاجتماع وأمثاله فيها خير وسداد.

وأن يوفق الإخوة الحضور إلى اتخاذ حلول مناسبة للحد من هذا التصاعد والمباهاة والمغالاة، وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه من السماحة واليسر.

وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛؛

زواج العفيفة بغير العفيف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

قال تبارك وتعالى: ((الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ))[1]

لما كان الزنا صفة سوء، وخلقاً مذموماً ممقوتاً، فيه ما فيه من الأخطار الاجتماعية، والدينية واختلاط الأنساب وفساد البيت والأسرة؛ حَرُم على العفيف أن يتزوج بزانية، وحرم على العفيفة أن تتزوج بزانٍ، وفي اقتران الزاني والزانية بالمشرك والمشركة في هذه الآية لفتة لطيفة تدلّ على أن المؤمن العفيف والمؤمنة العفيفة لا يرتبط أحدهما مع الزاني لا في زواج ولا في وطء، ولا في غيرهما وإنما ذلك من صفات الزناة والمشركين ولا يوافق عليه إلاَّ البغايا والمشركون، فكما أنه لا يجتمع مؤمن ومشركة في نكاح ولا مؤمنة مع مشرك في نكاح فكذلك لا ينكح العفيف زانية ولا تنكح العفيفة زانياً، وفيه أيضاً تقبيح للزنا وتنفير منه فالرجل المؤمن العفيف لا يرضى أن يكون فراشه قذراً موبوءً، ولا

---

(١) سورة النور آية:٢.

يرضى أن تشاركه في حياته وفي عاطفته امرأة لا تردُّ يد لامس، ولا يرضى باختلاط نسْله مع غيره، وكذلك المرأة المسلمة العفيفة لا ترضى أن تكون تحت رجل زانٍ يعبث بالقيم والأخلاق، ويتجرأ على حدود الله ومحارم الناس.

وإنما المؤمن العفيف والمؤمنة العفيفة يريدان حياة زوجية طاهرة نظيفة متكافئة في الأخلاق والسلوك والديانة، يريدان حياة زوجية كريمة شريفة وحياة مشتركة مبنيّة على أساس الدين والأخلاق والمشاعر الراقية.

وقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره في سبب نزول هذه الآية:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه قال: (كان رجلٌ يُقال له مرثد بن أبي مرثد كان يحمل الأسارى من مكة يأتي بهم إلى المدينة، قال وكانت امرأة بغي بمكة يُقال لها عِناق وكانت صديقة له، وأنه واعد رجلاً من الأسارى في مكة يحمله، قال فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال: فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت الحائط فلما انتهت إليّ عرفتني، فقالت: مرثد، فقلت: مرثد، فقالت: مرحباً وأهلاً هلم فبت عندنا الليلة، قال: فقلت يا عناق حرَّم الله الزنا، فقالت: يا أهل الخيام: هذا الرجل يحمل أسراكم، قال: فتبعني ثمانية ودخلت الحديقة فانتهيت إلى غارٍ أو كهف فدخلت فيه فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي فأعماهم الله عني، قال: ثم رجعوا، فرجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلاً

ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر، ففككت عنه حبله، فجعلت أحمله ويعييني حتى أتيت به المدينة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، أنكح عناقاً أنكح عناقاً، مرتين، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت: ((الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يا مرثد، الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة، فلا تنكحها}، رواه الترمذي والنسائي[1].

فالمرأة المعروفة بالفحش والفجور لا يحلّ للعفيف أن يتزوجها، والرجل المعروف بالخبث والبغاء لا يجوز للمرأة العفيفة أن تتزوجه، ولا يفعل ذلك إلاَّ ديوث يرضى بالردى والخنا في أهله.

والدياثة كبيرة من الكبائر وبليَّة من البلايا محرَّمة في دين الله، روى الإمام أحمد والنسائي رحمهما الله بسنديهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ثلاثة لا يدخلون الجَنَّة ولا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق بوالديه، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال، والديوث}[2].

---

(١) سنن الترمذي: رقم (٣١٧٧) سنن النسائي: رقم (٣٢٢٨).
(٢) مسند أحمد: ٢٦٩/١٠ رقم (٦١١٣)، سنن النسائي: رقم (٢٥٦٢).

وعن ابن عمر أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {ثلاثة حرَّم الله عليهم الجَنَّة، مدمن خمر، والعاق بوالديه، والذي يقرُّ في أهله الخبث}[1].

وفي حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا يدخل الجَنَّة ديوث}[2]، ولهذا فالله سبحانه وتعالى حرَّم ذلك على المؤمنين.

فالذين يرتكبون الزنا لا يأتونه وهم مؤمنون حقاً، إنما يكونون في حالة شهوانية أبعدتهم عن الإيمان ومشاعر الإيمان كما قال صلى الله عليه وسلم: {لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن}[3]، فالذي هذه حاله لا ترضى النفس المؤمنة، أن ترتبط معه لا في نكاح ولا في وصال، حتى يتوب، وهكذا الإسلام يعالج القضايا الاجتماعية، وينظم الحياة للمجتمع، ويحافظ على أخلاقه ومقومات عزّه وكرامته.

وفيه تأديب وتربية: تأديب للبغايا لعلهم يتوبون إذا عرفوا أن المجتمع المسلم يمقتهم، ولا يرتبط معهم بحال من الأحوال.

---

(١) رواه أحمد في مسنده:٩/٢٧٢ رقم (٥٣٧٢).

(٢) رواه الطيالسي في مسنده ص٨٩ الطبراني والبيهقي في الشعب، وهو حديث حسن

(٣) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٦٧٨٢).

وفيه تربية للأهل: العِفة والحصانة وبيان أن حالهم أعلى وأشرف من أن ينزلوا إلى مستوى أولئك الزناة الذين انحطت أخلاقهم وانحرفوا عن الصراط السوي، وانحرفوا عن النظام الإسلامي في الأخلاق والسلوك.

وهكذا يربي الإسلام الأمَّة المسلمة ويجعل العفَّة والحصانة وحسن الأخلاق هو الأساس للحياة الزوجية المسلمة، والدين هو قِوام كلّ شيء وصلاحه، ولذلك أوصى النبي صلى الله عليه وسلم أمَّته باختيار الزوجة الدِيِّنَة في قوله عليه الصلاة والسلام: {تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك}، رواه البخاري ومسلم(١).

وروى ابن ماجه والبزار والبيهقي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: {لا تنكحوا النساء لحسنهن فلعلّه يُرْديهن -أي حسنهن- ولا لِمَالِهن فلعلّه يطغيهن، وانكحوهن للدين، ولأمة سوداء خرقاء ذات دين أفضل}(٢)، أي: أفضل من امرأة جميلة حسيبة غنية لا دين لها.

أمَّا إذا اجتمع الدين والجمال والمال والحسب والنسب فذلك خير وأفضل وهذه هي خير النساء.

سُئل الرسول صلى الله عليه وسلم أي النساء أفضل؟، قال عليه الصلاة

---

(١) صحيح البخاري: رقم (٥٠٩٠)، صحيح مسلم: رقم (١٤٦٦).
(٢) سنن ابن ماجة: رقم ٥٩٧/١، البيهقي في السنن الكبرى: ٨٠/٧.

والسلام: {التي تسرُّه إذاً نظر وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره}[1].

فينبغي لمن أراد أن يتزوج أن يتحرى ذات الدين فالدين هو العنصر الأساس لبناء الأسرة وتنظيم الأسرة وباقي الصفات مكملات.

وعلى هذا فإن الذين يذهبون إلى البلاد المعروفِ بالفُحش وعدم العفة أهلُها، ويتزوجون بنساء معروفات بالزنا، قد دخلوا تحت إطار النهي المذكور في الآية، قد غلبته نفسه على دينه، وغلبته شهوته على تفكيره.

وأمَّا الذي يذهب إلى بلاد موبوءة بالأمراض الاجتماعية والأمراض الدينية، فيتعرف على امرأة في الشارع أو في المقهى أو في غيرهما، ويتزوجها قبل أن يعرف دينها وأخلاقها، الحقيقة هذا قد أخطأ وأساء التصرف، ومثله كمثل مُدخل يده في جحر في غابة فيها أنواع من الهوام، أو كغاطس في بحر لا يدري ماذا يلاقيه هل يجد داباً أو شَاذُوباً، وبهؤلاء قد غصت المحاكم لحل منازعاتهم، وبعد هذا كله يجب أن نعلم أن التوبة النصوح مطهرة وماحية للآثام، ومصفيَّة لآثار الخطأ والتصرف السيء، فإذا تاب الزاني أو الزانية، وطاب عمله وحسن سلوكه، وطهَّر أخلاقه وأحصن فرجه قد زال عنه وصف الزنا.

---

(١) رواه أحمد في المسند:٣٨٣/١٢ رقم (٧٤٢١)، والنسائي في سننه: رقم (٣٢٣١).

نسأل الله تعالى: أن يحفظنا وجميع المسلمين من كلّ سوء، وأن يحفظ مجتمعنا من جميع الشرور، وأن يفتح بصائر المسلمين للتمييز بين الحق والباطل والطيب والرديء، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وإلى حديث آخر إن شاء الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛؛؛؛

حكم الزاني

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

قال الله تبارك وتعالى: ((الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)) (١)

الزنا جريمة شنيعة وفاحشة كبيرة فيها الخنا والردى، والزنا هو أخطر المعاصي على المجتمع، وأكثرها فساداً في الأرض، فيه جرأة على ربّ العالمين بانتهاك محارمه والتعدي على حدوده، وفيه خيانة للمجتمع بالتعدي على أخلاقه وفضائله وباختلاط أنسابه، وفيه خيانة للفراش والأسرة بانتهاك حرمته والتعدي على حقوقه وفيه خيانة للمرأة وغدرٌ لها بإراقة ماء الحياء من وجهها وتمزيق كساء العفة عنها، وفيه هدم مستقبل المرأة والقضاء على حياتها الزوجية، وفيه كسرٌ لشرف أسرتها وإرخاء لرؤوسهم وتحطيم لمعنوياتهم.

والزنا جريمة على النطفة بوضعها في رحم حرام، تنسب لغير نسبها وترث غير مورّثها، ويحرم عليها غير محارمها، ويحلّ لها ما لا يحل لها، والنطفة ما خلقت للعبث بها وما جعلت الغرائز الجنسية للعب بها، إنما خلقت لقصد شريف

---

(١) سورة النور آية:٢.

وحكمة بالغة، لتكثير النسل وإبقاء الخلافة الطيبة الطاهرة في أرض الله، والزنا جناية على الجنين، إمَّا أن يوأد في أول أطواره ظلماً وعدواناً أو يوضع في دور الحضانة لا أم ولا أب، يفقد حنان الأم وعطف الأبوة، ثم يكون حسيراً في حياته لا عشيرة له ولا قرابة.

الزنا عقوبة عاجلة وآجلة، فإن كان خفياً كانت عقوبته العاجلة حسرة الضمير وشق النفس، والنكد والهم، خشية أن يطلع عليه أحد ويعرف سرَّه، يُسلط على نسائه من ينتهك حرمته كما انتهك حرمة الناس، وإن كان الزنا ظاهراً في المجتمع فلم ينكر سلط الله عليهم ذلاً وهواناً وابتلاهم بالأمراض والأسقام ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ونزع البركات، والخوف والاضطراب ورفع الأمن والاستقرار وجور السلطان، وهذا مشاهد بالعيان، ومن أجل ذلك حرَّم الإسلام الزنا وقاومه أشد مقاومة، ورتّب عليه عقوبة تربوية إصلاحية رادعة.

ولعظم جريمة الزنا قرنه الخالق تبارك وتعالى بالشرك وقتل النفس فقال تعالى: ((وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَن تَابَ

وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)) [1]

إنَّ في اتّباع الزناة في قضاء وطر النفس ورغبتها طريقٌ سيءٌ وعملُ فحشٍ ((وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)) [2] قال صلى الله عليه وسلم: {يا معشر الشباب اتقوا الزنا فإن فيه ستّ خصال: ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة، أمَّا التي في الدنيا: فيذهب البهاء، ويورث الفقر، وينقص من العمر، وأمَّا التي في الآخرة: فسخط الله سبحانه وتعالى، وسوء الحساب، وعذاب النار} [3].

وأمَّا حد الزنا وعقوبته، فإن كان الزاني بكراً لم يسبق أن تزوج في عقد صحيح فحدُّه جلد مائة جلدة، وتغريب عام وأمَّا المحصن فحدُّه الرجم بالحجارة حتى يموت، وكان الحكم في أول الإسلام تعاقب المرأة الزانية بالحبس في البيت إلى الممات ((وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا)) [4] ويعاب الرجل الزاني بالإيذاء وبالتعيير واللوم، فنسخ ذلك

---

(١) سورة الفرقان آية:٦٨-٧٠.
(٢) سورة الإسراء آية:٣٢.
(٣) كنز العمال: ٣١٩/٥، وقال عنه الألباني: ضعيف.سلسلة الأحاديث الضعيفة: رقم (١٤١)
(٤) سورة النساء آية:١٥.

بهذه الآية:((الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)) [١].

كما روي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنَّا نقرأ: (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة) [٢].

ورجم صلى الله عليه وسلم ماعز والغامدية[٣].

وفي قصة العسيف أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنَّ ابني كان عسيفاً (أي أجيراً) عند هذا –رجل من اليهود– وزنى بامرأته فافتديت منه بوليدة ومائة شاة، ثم أخبرني أهل العلم أن على ابني الجلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فاقض بيننا، فقال عليه الصلاة والسلام: {والذي نفسي بيده لأقضينّ بينكما بكتاب الله أمَّا الغنم والوليدة فردّ عليك، وأمَّا ابنك فإن عليه جلد مائة، وتغريب عام}، ثم قال لرجل من أَسْلَم: {أغد يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها}[٤] ، وروي في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو جالس

---

(١) سورة النور آية:٢.
(٢) رواه أحمد في مسنده:٤٧٢/٣٥، رقم (٢١٥٩٦) وابن ماجة في سننه:٨٥٣/٢.
(٣) حديث ماعز والغامدية رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٦٩٥).
(٤) رواه مسلم في صحيحه: رقم (١٦٩٧).

على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله. وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة أو الحَبَل أو الاعتراف) [1]. وتأمَّل في المسألة قول الله تعالى: ((وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)) [2]

أي لا تحملنَّكم الرحمة والشفقة إلى تعطيل حدود الله إذا بلغت السلطان، أي لا تتساهلوا في إقامة الحدود ولا تنقصوها في العد أو الكيفية وقوله: إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر تحريك للهمم والمشاعر للحثّ على إقامة حدود الله دون أخذ لومة لائم في حق الله كما أمر بإشهار الحدود وأمام طائفة من المؤمنين؛ لأنه أبلغ في التأديب وأنكى في الزجر فيرتدع من تسوّل له نفسه الوقوع في مثل هذه الجريمة.

ويشترط في إقامة الحدّ: العقل والبلوغ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٦٨٣٠)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٦٩١).

(٢) سورة النور آية:٢.

وأمَّا اللواط: وهو فعل الفاحشة بين ذكرين، فقال بعض العلماء: إنه زنى وحدّه حد الزنا، وقال بعضهم: ليس بزنا وإنما حكمٌ أغلظ وأشد، فيفعل باللوطي كما فعل الله بقوم لوط يلقى من أعلى شاهق ويرجم بالحجارة، وإتيان البهائم محرَّم، والمساحقة بين النساء والاستمناء باليد لا يجوز وفيه التعزيز فيجب على المسلم أن يتجنب أسباب الرذائل وأن يأخذ بأسباب العفَّة والكرامة فقد أمرنا إسلامنا بذلك، {عُفُّوا تعفّ نسائكم}[1]، {يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء}[2]، أي وقاية، وينبغي تيسير الزواج، وتسهيل تكاليفه وحفلاته {يسِّروا ولا تعسِّروا وبشِّروا ولا تنفِّروا}[3]، نسأل الله تعالى أن يحفظنا جميعاً من كلّ سوء، وأن يصلح بناتنا وذرياتنا وأن يصلح جميع المسلمين، إنه جواد كريم.

وإلى اللقاء إن شاء الله تعالى في حديث آخر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛؛؛

---

(١) ضعيف الترغيب والترهيب: ١٦٧١/٢

(٢) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١٩٠٥، ٥٠٦٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١٧٣٤).

من أحكام سورة النور

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

يقول الله تبارك وتعالى: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ((سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))[1] هذه هي سورة النور تشتمل على كثير من الأحكام التشريعية الواضحة الجلية، ألزم المشرّع سبحانه خلقه العمل بها.

إنها تشتمل على أحكام اجتماعية وتربوية لإصلاح المجتمع المسلم، والفرد المسلم، والأسرة المسلمة، فالإسلام يهتم كلّ الاهتمام بالأخلاق ونظافتها وطهارتها؛ لأن الأخلاق الرفيعة العالية الطيبة تنير القلب وتنير الحياة وتربط بين الإنسان وبين النور الإلهي الشامل؛ نور السموات والأرض ونور الإيمان وقلب المؤمن، أمَّا انحطاط الأخلاق فهو غشاوة على القلب تحجب عنه النور.

وهذه السورة الكريمة سورة النور تدور على نظام التربية والتعليم، تربية الأخلاق وتربية السلوك، وتربية التواصل، في البيت، وخارج البيت، ووضع الحلول التي تعالج الانحراف عن السلوك الصحيح، وسأشير -إن شاء الله تعالى- بصفة إجمالية إلى هذه الأحكام؛ تقريباً للفائدة ولعلي أتحدث عنها

---

(١) سورة النور آية:١.

بالتفصيل في أحاديث أخرى.

١- الحكم الأول: حدُّ الزنا في قوله تعالى: ((الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ))[١]

٢- الحكم الثاني: انفصال الزاني من المجتمع المسلم المؤمن وبراءة المؤمنين من حاله في قوله تعالى: ((الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ))[٢].

٣- الحكم الثالث: حدُّ القذف وحكم القاذف في السلوك الاجتماعي في هذه الدنيا في قوله تعالى:((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[٣].

٤- حكم اللعان: إذا أصرَّ الزوج على قذف زوجته بالزنا أو نفي الولد منها في قوله تعالى:((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ

---

(١) سورة النور آية:٢.
(٢) سورة النور آية:٣.
(٣) سورة النور آية:٤-٥.

عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ))[1]

٥- الحكم الخامس: قصَّة الإفك، وبيان عاقبة القاذف عند الله تعالى يوم القيامة في قوله تعالى:((إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ))[2]

وما بعدها من الآيات إلى قوله تعالى: ((الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ))[3].

٦- الحكم السادس: في آداب دخول البيوت سواء كانت عمائر أو فلل أو شقق أو خيام أو بيوت شعر في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ

---

(١) سورة النور آية:٩.
(٢) سورة النور آية:١١.
(٣) سورة النور آية:٢٦.

جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ))[1].

٧- الحكم السابع: بيان أسباب الوقاية من الوقوع في المحرم، وأسباب النظافة والطهارة في السلوك في قوله تعالى:((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))[2]

٨- الحكم الثامن: الحثُّ على الزواج والترغيب فيه وبيان أنه سبب للرزق بإذن الله في قوله تعالى:((وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ

(١) سورة النور آية:٢٩.
(٢) سورة النور آية:٣١.

وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) [1] والآية بعدها.

ثم عقب على هذه الأحكام بتأكيد ما سبق في أول السورة بأن هذه الآيات البينات منزلة من عند الله يجب العمل بها فلا لَبْس فيها ولا غموض، إنما أنزلت للناس لإصلاحهم وما ينتفع بها إلاَّ المتقون، فهم الذين يهتدون بنور الله الذي أشرقت له السموات والأرض وصلح بها أمر الدنيا والآخرة، واستضاء به قلب المؤمن.

أمَّا غير المؤمنين فهم في ظلمات ومتاهات، تحيط بهم من كلّ جانب أينما توجهوا، والكل خلق لله وملك لله، وكل ما في السموات والأرض خلقه وملكه، الكلّ يمجده ويعظمه ويقدّسه إمَّا بلسان المقال أو بلسان الحال، فمن اهتدى فإنما يهتدي بفضل الله وكرمه، ومن ضلَّ فإنما يضلُّ بعلم الله وعدله.

ثم بيَّن سلوك المؤمنين مع القيادة المسلمة والانقياد لأحكام الله، وسلوك المنافقين الذين يظهرون الإيمان بألسنتهم ويكنُّون الكفر في نفوسهم، وسلوك المنافقين الذين يظهرون الإيمان بألسنتهم ويكنّنون الكفر في نفوسهم، وبيَّن أن العاقبة الحسنة والفعلية والتمكين تكون للمؤمنين لإقامة العدل والإصلاح لا

---

(١) سورة النور آية:٣٢.

لمجرد السلطة والقهر.

٩- الحكم التاسع: في آداب الأسرة في داخل البيت وفي تواصل الأسرة والقرابة والصلة بالقيادة العامة، فالحكم السادس المتقدم في آداب دخول البيوت، وهذا الحكم في آداب دخول الحجرات في البيوت والتواصل ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)) [1] ، إلى خاتمة السورة التي يختمها بالترغيب والترهيب والحثِّ على التقوى ومراقبة الله تعالى في السرِّ والعلن؛ لأنه ما لكهم ويطَّلع على ما هم فيه، ومآلهم إليه.

وإلى اللقاء في حديث آخر. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛؛

(١) سورة النور آية:٥٨.

حكم القذف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد سبق الكلام على الحكم الأول[١] والحكم الثاني[٢] من أحكام سورة النور المباركة، وفي هذا الحديث سأتكلم إن شاء الله تعالى عن الحكم الثالث والحكم الرابع.

حكم القذف وما يترتب عليه، كما قال تبارك وتعالى: ((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[٣].

لما كانت سمعة الزنا جارحة مؤلمة تجرح العِرض وتخدش الشعور العفيف وتثير الضغائن وتؤثر في الحالة الاجتماعية؛ تخفض الرأس وتغض العيون، تفرق الأسرة وتشتت الشمل، فقد يتجرأ من لا خلاق له بقذف الأبرياء المتعففين، ويشيعون الفاحشة في الذين آمنوا لأي سبب من الأسباب ولطمع من الأطماع.

والإسلام هو نظام العدالة والحماية والحصانة وهو دستور الحق لا يرضى

---

(١) تقدم صفحة ٢١٩، حكم الزاني

(٢) تقدم صفحة ٢١٢، زواج العفيف بغير العفيفة.

(٣) سورة النور آية:٤-٥.

بالفوضى والعبث، ولا يرضى أن تُخدش كرامة مسلم بدون حق، ولا يرضى أن يجرح عِرض أحد بلا أمر ثابت شرعاً.

لذلك وضع حداً يحمي أعراض الناس، ويمنع الألسن من الإقدام على إلقاء التهم ضد المحصّنين العفيفين.

فالرمي المذكور في الآية الكريمة: هو القذف بالزنا، والمحصنات في هذه الآية هن العفيفات اللاتي حفظن فروجهن من الحرام، ويطلق الإحصان على ثلاثة معان:

أحدها: بمعنى العفيفات كما هذا الحكم:

((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ)).

والثاني: بمعنى المتزوجات اللاتي في عصمة الأزواج، كما في سورة النساء: ((وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ)) (١)

والثالث: بمعنى الحرائر ضد الإماء المملوكات، كما في قوله تعالى في سورة النساء: ((وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ

---

(١) سورة النساء آية:٢٤.

وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[1].

فالقذف محرَّم وكبيرة من الكبائر، قال صلى الله عليه وسلم: {اجتنبوا السبع الموبقات}، قالوا: ما هن يا رسول الله؟، قال: {الشِّرك بالله، والسِّحر، وقتل النفس التي حرَّم الله، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات} متفق عليه[2].

ويترتب على القذف في هذه الدنيا ثلاث عقوبات، عقوبة بدنية، وعقوبة اجتماعية، وعقوبة دينية، جزاءً وفاقاً، إيلام بإيلام وتشويه بتشويه، واستنقاص في الدين بمثله.

فالعقوبة البدنية يجلد القاذف إذا لم يُثبت دعواه بأربعة شهود عدول، يُضرب ثمانين جلدة، إيلاما لجسمه مقابل ما آلم به المقذوف في نفسه وعِرضه.

والعقوبة الاجتماعية: تردّ شهادته وتسقط عدالته ويلغى اعتباره فيمشي بين الناس مهيناً ذليلاً لا يوثق بقوله ولا يعتبر خبره وذلك في مقابل ما أشاع على المقذوف من بهتان وكذب.

---

(١) سورة النساء آية: ٢٥.
(٢) صحيح البخاري: رقم (٢٧٦٦) ، صحيح مسلم: رقم (٨٩).

وأمَّا العقوبة الدينية: فهي اعتبار القاذف فاسقاً خارجاً عن الصراط السوي والإيمان الحقيقي مقابل قدحه في دِين المقذوف.

وهكذا الإسلام ينشر العدل ويسير بالأمَّة المسلمة في طريق وسط قويم فكما أنه قاوم الجريمة وعاقب عليها، فهو كذلك يحفظ الحقوق ويصون الأعراض.

ورحمة ربّ العالمين واسعة وأبواب التوبة مفتوحة على مصَارِيعها دائماً وأبداً فمن رحمته شرع الحدود: ومن رحمته جعل أنظمة لكل مرافق الحياة.

فهو سبحانه أعلم بطبائع خلقه وهو أعلم بما يصلحهم.

فليس لجاهل بشرائع الإسلام وأهدافه ومقاصده أن يقول إنَّ الحدود فيها قسوة، وليس لعدو حاقد أن يستنقص شرائع الله باسم الحرية والمدنيّة، تلك الحرية الكاذبة وإنما عبودية للهوى والشيطان، وتلك المدنيّة الماجنة فلا تعرف الفضل لمعطيه ولا الحق لمستحقه.

والتوبة هي طريق تصحيح الأخطاء وطريق الإصلاح، وهي سهلة ميسَّرة على من أراد الله به خيراً، وشروط التوبة ثلاثة، الندم على ما مضى، والإقلاع عما أتى، والعزم على ألاَّ يعود، وإذا كانت المعصية فيها مظلمة لأحد كالقذف فلابد من استحلال المظلوم، فإذا تاب القاذف وأصلح من شأنه وعمل صالحاً زال عنه وصف الفِسق، ورفع عنه الحظر في شهادته وذلك من سعة الله تعالى بعباده وعظيم مغفرته لذنوبهم وأخطائهم

أمَّا الحكم الرابع من أحكام سورة النور فهو حكم اللعان كما في قوله تعالى: ((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ))[1]

حكم اللعان مستثنى من حكم القذف، لاعتبارات خاصة وأحوال اقتضت الحكمة الإلهية استثناءه.

وسبب نزول آية اللعان يوضح ذلك.

روى الإمام أحمد من طريق سعيد بن جبير والنسائي من طريق عبدالمحسن بن أبي سليمان، وروى البخاري ومسلم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بأن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أرأيت الرجل يرى امرأته على فاحشة؟، فإن تكلم، تكلم بأمر عظيم، وإن سكت، سكت على مثل ذلك، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم لم يجبه فلما

---

(١) سورة النور آية:٦-١٠.

كان بعد ذلك أتاه فقال: الذي سألتك قد ابتليت به، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ)) حتى بلَّغ ((أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين)). فبدأ بالرجل فوعظه وذكَّره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فقال: والذي بعثك بالحق ما كذبت، ثم ثنّى بالمرأة فوعظها وذكَّرها، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فقالت: والذي بعثك بالحق إنه لكاذب، قال: فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم ثنى بالمرأة فشهدت أربع شهادات بالله إنه لم الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين[1].

فآية اللعان تيسِّر للأزواج صعوبة ما يناسب ذلك الموقف الحرج، فهو قبل نزول آية اللعان في مأزق ضيق، بين السكوت لعدم البيّنة خشية من حد القذف، فبقي يتجرع آلامه ويسفّ مَلَّة لقبح ما رأى وصعوبة ما شاهد، وبين أن يجهر بما رأى ويبوح بما يعلم فيطالب بالبيِّنة أربعة شهداء وإلاَّ فالحدّ.

فجاءت آية اللعان معالجة للموقف، وفاتحة الطريق أمام الزوج المسكين وهناك فرق بين سكوت الإنسان على ما يراه من أجنبي فيستر عليه فإنه لا

---

(١) صحيح البخاري: رقم (٤٧٤٧) صحيح مسلم: رقم (١٤٩٣).

تلحقه به معرَّة، وأمَّا زوجته فليحقه العار والنسب فالصبر صعب ولكن الله ذو فضل ورحمة واسعة والله سبحانه يعلم ما كان وما سيكون ويعلم أن قصة قذف الرجل لامرأته ستحصل، وإنما أخَّر نزول الحكم، حتى وقع ليكون أمكن في النفوس، فتلقّاه الناس بالقبول والعمل والاشتياق.

نسأل الله تعالى أن يصلح بناتنا وذرياتنا وأزواجنا، المسلمين وأن يحفظنا وجميع المسلمين من كلّ سوء ومكروه، وأن يعصمنا جميعاً بمنِّه ورحمته، وأن يجعل لنا من رحمته ما يحول بيننا وبين معصيته إنه جواد كريم.

وإلى اللقاء في حديث آخر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛؛؛

حديث عن الظلم[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، حرَّمه الخالق تعالى على نفسه، وحرَّمه على خلقه، فهو محرَّم في شريعة الإسلام وفي الشرائع السماوية كلها.

والظلم هو الجور وضده العدل والحكمة، وهو معصية الله تعالى ومخالفة أمره سواء فيما بين العبد وبين ربه أو فيما بين خلق الله، كلّه ظلم محرَّم.

قال تعالى: ((قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا)) [2] ((وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ))[3] ((قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ))[4]

وعن جُندب بن جنادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: {يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا}[5].

---

(١) مقالة كتبها الشيخ عبدالله لصحيفة عكاظ في المملكة العربية السعودية بتاريخ ١٤١٣/٧/٢٣هـ

(٢) سورة الكهف آية:٨٧.

(٣) سورة الطلاق آية:١.

(٤) سورة ص آية:٢٤.

(٥) رواه مسلم في صحيحه: رقم (٢٥٧٧).

وإن شرَّ الظلم وأقبحه بعد الشِّرك بالله اعتداء جار على جاره يسفك دمه وبنهب أمواله وهتك حرماته وتشريد أطفاله ونسائه، كما فعل صدام حاكم العراق بجارته الكويت فكان اعتداؤه مع غفلة على غرَّة في ظلمة الليل رغم ما بينهما من عهود ومواثيق ورغم ما أعطى من وعود، فنقض الميثاق وأخلف الوعد وخان العهد، وادعى بأن الكويت جزء من العراق وهي دعوى كاذبة يردها التاريخ؛ فإن الكويت مملكة آل صباح من مئات السنين.

وإن فعل صدام بالكويت ظلم كبير وعدوان سافر أغاظ قلوب المؤمنين الصادقين وجرح قلوبهم وامتدت آثاره إلى البشر، كنَّا نعدّ صدام أخاً في الإسلام وابن عم في اللغة وصديقاً صادقاً وجاراً أميناً فوقف معه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وأمير الكويت مواقف مشرفة في محنته مع إيران وشدَّا عضديه وأقاماه على ساقيه وبَذَلا له متطلباته بنصح وصدق وسخاء وطيب نفس ((هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ))[1].

إلاَّ أن صدام مع الأسف أخلف الظن وخاب فيه الأمل لقد كشف صدام نفسه بأفعاله في الكويت وحديث خادم الحرمين الشريفين مع علماء الإسلام كشف القناع عن وجه صدام، وشرقه بريقه، وأمَّا خطاب الملك فهد الذي

---

(١) سورة الرحمن آية: ٦٠.

أجاب به صدام فألقمه حجراً عضّ به.

ومع هذا فلم يدخر الملك فهد وسعاً في إنهاء الأزمة بسلام ومطالبة صدام بسحب قواته ورد المظالم إلى أهلها وإعادة البلاد إلى حكامها الشرعيين وعلماء المسلمين الذين يُعتدّ بهم أجمعوا على أن اعتداءه على الكويت ظلم وطالبوه وناشدوه الانسحاب من الكويت فأبى وبيَّنوا له الأحكام والنصوص فرفضها.

والذي يظهر أن صدام أخذه الإعجاب بالنفس والغرور وقصر النظر ودنو التفكير فلم يستجب، وبذلت هيئة الأمم جهدها لحلّ أزمة الخليج بسلام فأبى صدام إلاَّ الاستمرار في الظلم والعدوان وانتهاك المواثيق والعهود واتباع نظام الغاب، القوي يأكل الضعيف.

وإنما جعلت هيئة الأمم المتحدة لتمنع الظالم عن ظلمه بالقوة ولتكون في صف المظلوم حتى يعاد إليه حقه، فلما أعياها صدام بالسِّلم لم يبق إلاَّ الحرب فلا يمكن أن يسمح أحد لصدام أن ينفذ طيشه وغروره وينفذ إرادته الشاذة واطماعه المتكررة، فقامت الحرب بين العدل وأعوانه ضد الظلم والطغيان والذي أقام الحرب هو صدام وهو المسؤول عن كلّ ما ينتج عنها، سياسياً وأدبياً واقتصادياً واجتماعياً.

صدام هو المسؤول عن كلّ ما ينتج عن تصرفاته، ولا أرى هذه الحرب إلاَّ عقوبة من الله على صدام، فكان اعتداؤه على الكويت الساعة الثانية يوم

الخميس أول الشهر.

فكان عقابه مقابلته بمثل ما عمل صارت الغرة عليه في نفس الأوقات التي اعتدى فيها على الكويت، إن عاقبة الظلم وخيمة وما أسرع عقوبة الظالم فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب حتى لو كان المظلوم غير مسلم فما بالك أخي المسلم بظلم المسلم، والظالم دائماً مخذول مدحور مهزوم يبغضه الله ويبغضه عباد الله، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع، وما للظالمين من نصير.

ولهذا حذَّر منه الرسول صلى الله عليه وسلم فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة}، رواه مسلم(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: {لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة}(٢)، {إنَّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته}، متفق عليه(٣)، وقال لمعاذ رضي الله عنه: {اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب}، متفق عليه(٤).

وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) صحيح مسلم: رقم (٢٥٧٨) .
(٢) رواه مسلم في صحيحه: رقم (٢٥٨٢).
(٣) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٤٦٨٦).
(٤) صحيح البخاري: رقم (١٤٩٦)، صحيح مسلم: رقم (١٩).

المواطن الصالح [1]

الحمد لله ربّ العالمين، جعل الوطن مأوى للمستوطنين فيحصل التعارف والتآلف والتعاون والتكاتف، وجعل أُخوّة الإسلام فوق أخوة النسب، وفوق الوطنية والقوميات، فالإيمان عصمة المؤمنين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، أبرّ الناس بأمَّته وأنصحهم لعشيرته وأتقاهم وأخشاهم لربِّه.

أمَّا بعد.

فأحب أن أُصدِّر هذا اللقاء بتعريف المحاضرة وتعريف الوطن تمهيداً للموضوع، ولإتمام الفائدة.

فأمَّا المحاضرة: فقال في لسان العرب: (المحاضرة: أن يُحاضرك إنسان بحقك، ويذهب به مغالبة أو مكابرة، وحاضرته: جاثيته عند السلطان) [2].

وقال في القاموس (المحاضرة المجالدة والمجاثاة عند السلطان وأن يعدو معك

---

(١) محاضرة ألقاها الشيخ عبدالله على طلاب معهد الدعوة الإسلامية بتاريخ ١٤١٣/٣/٢٢هـ.
وقال الشيخ: طلب مني الأخوان الفاضلان الدكتور/ محمد العوفي مدير المعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة، والدكتور عبدالكريم المطبقاني إلقاء محاضرة تحت عنوان (المواطن الصالح) فأجبتهما لأستفيد لنفسي وأفيد من مثلي.

(٢) لسان العرب: ٤/٢٠٠.

وأن يغالبك على حقك فيغلبك ويذهب به)[1].

وعلى هذا -والله أعلم- فالمحاضرة: مفاعل من الحضور، فالمستمعون يحضرون من أجل المتكلم، والمتكلم يحضر من أجل (المستمعين)، ولا تخلو المحاضرة من المناقشة بين المتكلم والمستمعين في بعض المسائل، ولا تخلو من المغالبة فهي مرتبطة بالمعنى الذي ذكره القاموس ولسان العرب.

والوطن: هو المنزل يقيم به الإنسان، وهو موطنه ومحل إقامته، قال رؤبة بن العجاج:

كيما ترى أهل العراق أنني أوطنت أرضاً لم تكن من وطني

والجمع أوطان[2].

ومن صفات النبي صلى الله عليه وسلم: أنه لا يُوطِن الأماكن، أي لا يتخذ لنفسه مجلساً يعرف به[3].

والمَوَاطن: بفتح الميم والواو: كلّ مقام قام به الإنسان لأمر، جمع موطن؛ فمن ذلك: ما رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وأبي طلحة بن سهل رضي الله عنه قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ما

---

(١) القاموس المحيط: ٢/١٠.
(٢) لسان العرب:١٤/٤٥.
(٣) النهاية في غريب الحديث:٥/٢٠٤.

من امرئ يخذل امرأ مسلما عند موطن تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلاَّ أخذله الله عزَّ وجلَّ في مَوْطن يحب فيه نصرته، وما من امرئٍ ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلاَّ نصره الله في موطن يحب فيه نصرته}[1].

ومن ذلك مشاهد الحجّ تسمى مواطن، تقول: إذا وقفت في تلك المواطن فادعوا الله لي ولإخواني.

وتسمى مشاهد الحروب مواطن، قال تعالى: ((لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ))[2].

والمُواطن بضم الميم وفتح الواو، قال في تاج العروس: (المجالس).

والوطني نسبة إلى الوطن.

وتوطين النفس على الشيء كالتمهيد، يُقال: فلان وطّن نفسه على كذا فتوطنت، أي: حملها عليه فتحملت وذلَّت له.

قال كُثيِّر عزة:

فقلت لها يا عزّ كلّ مصيبة إذا وُطِّنت لها النفس ذَّلت

وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما حينما ذكر دَيْن والده من العَجْوَة وإصرار الغرماء على أخذ العجوة قال: وقد وطّنتُ نفسي أن أشتري

---

(١) مسند الإمام احمد:٢٦/٢٨٨ رقم (١٦٣٦٨)
(٢) سورة التوبة آية: ٢٥

لهم من العجوة[1].

فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فوقّى نِخَابُه الغرماء وزاد.

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في شأن خروج يأجوج ومأجوج إذا أهلكهم الله وانقطعت أصواتهم طلب المسلمون من يكشف لهم الخبر، قال: فينزل رجل قد وطَّن نفسه على أن يقتلوه فيجدهم موتى[2].

وأمَّا ما جرى على ألسنة الناس من قولهم: (حبُّ الوطن من الإيمان) ويعتقد بعض الناس أن ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال –المحققون– : ليس بحديث، وقال بعضهم: إنه موضوع، فقد قال في كشف الخفاء: قال الصاغاني: موضوع، وقال في المقاصد: لم أقف عليه، وقال القاري: لا تلازم بين حب الوطن وبين الإيمان، فهناك من يحب وطنه وهو غير مؤمن، قال تعالى: ((وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا))[3].

قال بعض العلماء: إنه لا منافاة بين حبِّ الوطن والإيمان فقد يحبُّه المؤمن وغير المؤمن.

---

(١) رواه الإمام احمد في مسنده:٢٣/٢٥١ رقم (١٥٠٠٥).
(٢) رواه ابن ماجة في سننه: برقم (٤٠٧٩).
(٣) سورة النساء آية:٦٦.

وقول بعض الناس: حبُّ الوطن قتال. ليس بحديث، وإنما هو من كلام الناس، قال في كشف الخفاء: قال النجم أي محمد نجم الدين الغزي: ليس بحديث وفي معناه: ما رواه الدَّينوري في المجالسة عن الأصمعي قال: قالت الهند ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان: الإبل تحِنّ إلى أوطانها، وإن كان عهدها بعيداً، والطير إلى وَكْرِه وإن كان موضعه مُجدباً، وإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر له نفعاً.

وفيها أيضاً عن الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول: إذا أردتَ أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه، والإسلام لم يعتبر الوطنية ولا القومية رابطة بين المسلمين وأمَّا الرابطة حبل الله المتين {لا فضل لعربي على أعجمي إلاَّ بالتقوى}[1].

فالمواطن الصالح هو الحكيم اللبيب الكيِّس الفطِن الذي ينظر في عواقب الأمور ونتائجها، ويصلح ما بينه وبين ربِّه وما بينه وبين الناس، ويقدِّم المصالح العامة على المصالح الخاصة، ويحبّ لإخوانه ما يحب لنفسه، ويبذل الندى ويكف الأذى، ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر بالحِكمة، والموعظة الحسنة، ويصبر ويتحمل ويدفع بالتي هي أحسن السيئة، وملاك ذلك القوة والأمانة،

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان: رقم (٥١٣٧).

فبِالقوّة تحصل المحافظة على الحقوق والقيم، وبالأمانة تؤدى الحقوق إلى أهلها.

ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أشكو إلى الله ضعف الأمين وخيانة القوي.

وما من نبي ولا رسول إلاَّ ويتصف بتلكم الصفتين: القوة والأمانة، ويؤمر بهما، قال الله تعالى في شأن آدم عليه السلام: ((وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)) (١)، فلما وقع في المعصية وأناب إلى الله والتجأ إليه ((ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ)) (٢)، هداه إلى كلّ شيء فيه نجاته وطاعة ربّه ومعصية عدوه، ومن ذلك القوة والأمانة.

ونوح عليه السلام من قوته قال: ((وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا)) (٣)

وقال: ((قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)) (٤)

ومن أمانته: ((قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ

---

(١) سورة طه آية:١١٥.
(٢) سورة طه آية:١٢٢.
(٣) سورة نوح آية:٢٦.
(٤) سورة هود آية:٣٨.

لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ))[1]

وقال: ((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا))[2]

وقال هود عليه السلام: ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ))[3]

وقال صالح: ((أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))[4]

ولوطٌ عليه السلام أنكر على قومه فعل الفاحشة ووصفهم بأنهم مسرفون وأنهم مجرمون وحذَّرهم من عاقبة سوء فعلهم.

وقال شعيب: ((لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ))[5]

وموسى عليه السلام دخل على الجبار الطاغية فرعون فقال:

((يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ))[6]

---

(١) سورة نوح آية:٢-٤.
(٢) سورة نوح آية:١٠-١١.
(٣) سورة الأعراف آية:٦٨.
(٤) سورة الأعراف آية: ٦٢.
(٥) سورة الأعراف آية: ٩٣.
(٦) سورة الأعراف آية: ١٠٤-١٠٥.

والقوة توطّن الرجل لحمل المسؤولية والنهوض بالواجب في عزم وحزم.

والأمانة أساس كلّ خير في أمور الدين والدنيا، في العقيدة وشرائع الدين والحقوق بجميع أنواعها: الأموال والأعراض والدماء، وإنجاز الوعد، والحب في الله ومخالقة الناس بخُلُق حسن.

روى البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه}(١).

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم}(٢).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من أخذ أموال الناس يريد أداءها أداها الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله}(٣).

واجتماع القوة والأمانة في الناس قليل حتى في عهد الخلافة الراشدة فقد رُوي

---

(١) صحيح البخاري: رقم (١٠).
(٢) سنن الترمذي: رقم (٢٦٢٧)
(٣) صحيح البخاري: رقم (٢٢٥٧).

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (اللهمَّ أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة). لكن يكون الصلاح بحسب ما في الشخص من خصال الخير.

والتناصح والإخلاص من قواعد الصلاح، ومن أصول الإسلام كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه عند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {الدين النصيحة}، قلنا: لمن؟، قال: {لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم}[1].

فليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح من يأتي بالمسكرات والمخدرات والمحرمات يبيعها على المسلمين ويُروِّجها في أسواق المؤمنين.

وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح من يأتي بالأفلام الخليعة التي تدعو إلى الدعارة، وتهدم الأخلاق وتفسد الشباب والشابات.

وليس بمؤمن ناصح ولا بمواطن صالح الذي يعرض على المسلمين أفلاماً تُعلِّم الجريمة وتخطط للسرقة، وتجرئ على سفك الدماء وأخذ الأموال بالباطل، ولا التمثيليات التي فيها استهزاء أو تنقيص بنصٍّ من نصوص الشريعة، وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح الذي يعتدي على أموال المسلمين وأعراضهم

---

(١) صحيح مسلم: رقم (٥٥).

ودمائهم ظلماً وعدواناً ويخلُّ بأمنهم ويسعى بالفساد بينهم، وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح الذي يخدم أعداء الإسلام ويمهد لتنفيذ مخططاتهم في المسلمين ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ))[1]

وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح الذي يتعامل بمعاملات محرمة تؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل (مثل الدولار الصاروخي) ومثل اليانصيب، ومثل مسابقة (جاسابا الدولية) تدعو للاشتراك بخمسة وستين دولار وبعد ثلاث سنوات يربح سيارة قيمتها خمسة وعشرون ألف دولار، ومثل اشتَرْ مني واربح خمسة وعشرين ألف دولار خلال ٤-٦ أسابيع مقابل دفع ٧٥ دولار، وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن ناصح من التمس رضا الناس بسخط الله والواجب الوقوف في جانب الحق والأخذ على يد السفيه وأطره على الحق.

وليس بمواطن صالح ولا بمؤمن حقاً من يسعى بالوشاية بين الناس ليفسد القلوب ويُخبث النفوس ويستغل الموقف لنفسه يُعكر الماء ليصيد فيه.

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا

---

(١) سورة الأنفال آية:٥٨.

يخذله التقوى ههنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم، كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه}[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: {حق المسلم على المسلم خمس: ردّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس}، متفق عليه[2]، وفي رواية لمسلم: {الدين النصيحة (ثلاثاً)} قلنا: لمن يا رسول الله؟، قال: {لله عزَّ وجلَّ ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم}[3] ، وهذا يدلُّ على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان.

والنصيحة عناية القلب للمنصوح له، وهي كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً.

وقال الحسن: قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده، ويحببون عباد الله إلى الله ويسعون في الأرض بالنصيحة)[4].

---

(١) صحيح مسلم: رقم (٢٥٦٤) .
(٢) صحيح البخاري: رقم (١٢٤٠) صحيح مسلم رقم (٢١٦٢).
(٣) صحيح مسلم: رقم (٥٥).
(٤) جامع العلوم والحكم:١/٢٢٤.

وبالبصيرة النافذة: (العقل السليم يسيّر الإنسان في هذه الحياة على صراط مستقيم)، ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {إنَّ الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل عند حلول الشهوات}[1].

وواجب المواطن الصالح مع نصحه لإخوانه وحبِّه لهم كما يحب لنفسه الوقوف في جانب الشرع والإعانة على إنفاذ الحق، فلا يؤوي محدثاً ولا يدافع عن مجرم، ولا ينقص الميكال والميزان يورّد لبلده وإخوته ما يضرهم في دينهم ولا في دنياهم، ولا ينقض العهد ولا يخلف الوعد، ولا يؤذي أحداً بلا حق، ولا يصر على كبيرة، ولا يداوم على صغيرة.

حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس وحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه.

هذه الخصال من اتصف بها فهو مواطن صالح ومؤمن ناصح، ومن رفضها أو خالفها فهو مواطن طالح، ومسلم منافق.

تأملوا هذا الحديث ولفظه أبلغ من شرحه:

روى مسلم عن عائذ بن عمرو المزمني رضي الله عنه أن أبا سفيان أتى على

---

(١) الزهد للبيهقي: رقم (٩٥٤).

سلمان وصهيب وبلال ونفر فقالوا: ما أخذت سيوفنا من عدو الله مأخذها، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أتقولون لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال صلى الله عليه وسلم: {يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك}، فأتاهم فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟، قالوا: يغفر الله لك يا أخي[1].

هذا المواطن الصالح، وهذه صفاته، وهذه أعماله، وهذا سلوكه، فيجب على كلّ مواطن مسلم أن يتصف بهذه الصفات الإسلامية الخيِّرة، ولا يهتم بدعايات المرجفين، ودسائس الحاسدين، وأقوال الكذابين الذين يفترون على علمائهم، وينسون نعم الله عليهم ويجحدون جهود المواطن الصالح والعامل الناصح.

وصلَّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛؛؛

(١) صحيح مسلم: رقم (٢٥٠٤).

عن كلمة خادم الحرمين الشريفين [1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

فقد سمعت من وسائل الإعلام، وقرأت في بعض الصحف كلمة خادم الحرمين الشريفين التي ارتجلها حفظه الله أمام المواطنين من أهالي المدينة المنورة والعلماء وطلاب العلم الحاضرين.

والحق يقال: إنها كلمة توجيهية ضافية شاملة تحمل في طياتها النصح لرعيته والتوجيه لشعبه.

وهي دليل على حرصه على قبول النصيحة والمفاهمة والمشاورة والتعاون على البر والتقوى والتمسك بتعاليم الكتاب والسُنَّة؛ لأن هذه البلاد حكومتها وشعبها مؤمنون بالله متمسكون بالعقيدة الصحيحة.

ولفت الأنظار حفظه الله إلى النعم الكبرى التي ترفل فيها هذه البلاد، نعمة الإسلام، ونعمة الأمن، ونعمة التآخي، بينما بعض البلدان الأخرى كما هو معلوم فيها ما فيها، فهذه البلاد محسودة على نعم الله ويجب على أبناء هذه المملكة الانتباه إلى ما يراد بهم وأخذ الحذر من الدسائس والوساوس، التي يبيتها

---

(١) كتبها فضيلة الشيخ عبدالله بتاريخ ١٤١٣/٧/٢هـ.

الأعداء حسداً من عند أنفسهم، وأن المنابر إنما هي لقول العدل والحق والتآلف والتراحم والدعوة إلى جمع الكلمة وتوحيد الهدف والصف.

وحذر حفظه الله من استغلال المنابر والنوادي والتسجيلات والتجمعات لخدمة الأعداء، وإثارة الشغب والخلافات ونشر الفوضى والدعايات.

وأخبر حفظه الله أن للعلماء مكانة عالية في الدولة وأن كلمة الحق والنصح مسموعة، وأن الأبواب مفتوحة للناهجين لتحقيق المصلحة العامة والتعاون على البر والتقوى على وفق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما درج على ذلك أهل هذه البلاد.

وكلمة خادم الحرمين الشريفين أيده الله بتوفيقه ورعايته، دليل على أنه مطلع على الأحوال في الداخل والخارج، وأنه متفهمٌ الأوضاع جيداً.

ولا غرابة في ذلك، فإن الملك فهد بن عبدالعزيز نشأ في دار عبادة وتقوى ومراقبة لله وحِنكة وسياسة وتحمل أعباء عدة مناصب قيادية وجرّب الأمور ومرت عليه حالات متغايرة، ودليل على التقوى، والتوكل على الله ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

اللهمَّ احفظ علينا نعمك وزدنا من فضلك وارزقنا شكر آلائك.

اللهمَّ من أرادنا أو أراد ديننا أو بلادنا أو حكومتنا بسوء فاشغله في نفسه،

وردّ كيده في نحره وأحرقه بغيظه، ومزقه بحسده وسلط عليه جندك.

اللهمَّ انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

وصل الله وسلّم على سيّدنا ونبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحاجة إلى الشريعة الإسلامية[1]

الحمد لله رب العالمين. اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين. أما بعد:

فإن حاجة العالم إلى الشريعة الإسلامية فوق حاجتهم إلى الطعام والشراب، بل والنفَس.

فإن الإنسان إذا فقط الطعام والشراب أو فقد النفس مدة يموت، ويُنقل من هذه الدنيا وينتهي أثر فقط الطعام والشراب والنفَس.

اما فقد الشريعة المحمدية؛ فإن آثارها تبقى مع الإنسان في قبره. فيأتي الميت في قبره ملكان: منكر ونكير؛ يسألانه من ربك وما دينك ومن نبيك.

ثم يوم القيامة يقوم الناس من قبورهم لرب العالمين. يسيرون على حسب أعمالهم، حفاة عراة غرلا، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه، ثم ينشر له ديوانه، فيه كل صغيرة وكبيرة، اقرأ كتابك، كفى بنفسك اليوم عليك

---

(١) مقالة كتبها الشيخ عبدالله بتاريخ ١٤١٣/٢/٢٨هـ، وبعث بها لمندوب صحيفة عكاظ بالمملكة العربية السعودية، الأستاذ محمد الفريدي

حسيبا، فيقول الظالمون يا وليتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ثم إلى الجنة وإما إلى النار.

الناس بحسب أعمالهم وبحسب إيمانهم بهذا الدين، وبمنزّل الكتاب، وبمن أنزل عليه الكتاب؛ محمد صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً دين الإسلام دين اختاره الله خاتماً للديانات ومهيمنا عليها، يسعد فيه المؤمن وغير المؤمن، فالوفاء والعدل والصدق، والبر والصلة من مميزات دين الإسلام؛ حتى ولو كان الطرف الآخر أساء إليك، فلا تسيء إليه، وإن خانك، فلا تخنه، وإن قطعك فصله، وإن كذبك فاصدقه.

فعلى المسلم أن يفعل الخير؛ حتى ولو قابله الآخر بالشر.

ودين الإسلام يسعد فيه الحيوان، فأوجب له دين الإسلام حُسن الرعاية، ولا يُكلّف من العمل مالا يطيق، ولا يحمّل ما لا يطيق، ولا يذبح إلا لحاجة، فلا يذبح عبثاً ولا تكبراً إلا إذا كان مؤذياً.

فدين الإسلام إذاً ضروري لجميع المخلوقين. المسلم وغير المسلم، والإنسان وغير الإنسان. وحاجة الناس إليه أكثر من حاجتهم إلى أسباب الحياة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،

تدخين المرأة [1]

الحمد لله رب العالمين. كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله سيد المتقدمين والمتأخرين.

الله صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وطهرهم من الأرجاس والأنجاس أما بعد:

قال الله تعالى ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [2]

فإذا كنا نحب النبي صلى الله عليه وسلم فقد بيّن الله صفته في الآية المتقدمة بأنه يحل لنا الطيبات ويحرم علينا الخبائث، فيجب علينا أن نتبعه امتثالاً لأمر

---

(١) مقالة كتبها الشيخ عبدالله بتاريخ ١٤١٨/٥/٢هـ، وبعث بها لمندوب صحيفة المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية، الأستاذ خالد باحكم

(٢) سورة الأعراف آية:١٥٧.

الله تعالى؛ والدخان لا شك أنه من الخبائث والنبي صلى الله عليه وسلم حرم علينا الخبائث، والقاعدة الفقهية تقول:(ما ثبت ضرره حرم تناوله) وقد أثبت الطب الحديث ضرر الدخان، وأنه سببٌ في عددٍ من الأمراض على رأسها سرطان الدم وسرطان الرئة، ولم نسمع أحداً قال إنه من الطيبات؛ لا من المدخنين ولا من غيرهم، وعليه فالدخان خبيث طعمه، خبيث ريحه، يشتمل على مادة النيكوتين التي تلتصق بجدار الرئة، وقد أثبتت اللجان الطبية ضر الدخان وأوصت بالكتابة عليه: (هذه المادة ضارة ولا يصلح تناولها) وذلك من حيث قواعد الصحة العامة.

وكذلك فالدخان خبيث استعماله؛ يجعل في يده جمرة من النار، ويبدد أمواله فيما يضره، وعلى من تعود المصلحة؛ على أعداء الإسلام عامة: من اليهود والنصارى الذين يزرعون الدخان ويصنعونه، وقد رضوا بأن يكتب عليه العبارة المتقدمة؛ لأنهم وثقوا أن المسلمين أصبحوا يتبعون الشهوات، وأن دعايات المستعمرين اثرت فيهم، وأن الإدمان على التدخين تمكّن منهم، فلا يستطيعون تركه، ولا ينظرون في عواقب الأمور ونتائجها. ويروى قصة: أن أحد المدرسين قال لبعض تلاميذه من المدخنين أشعل سيجارةً وهات منديلا

من القماش أبيض ناصعاً، وانفخ الدخان على المنديل بشكل محكم. فترك الدخان أثراً حتى بعد غسيله بالصابون، فقال المدرس عندها: قال أحدهم

قوم سخاف لا عقول لهم استعملوا بدل التسبيح دخانا

أنبوبة بقم والنار داخلها تجر للجوف نيراناً ودخانا

فالدخان عادة قبيحة في الرجال وإذا كانت في النساء فهي أشد قبحاً؛ لأنه مطلوب منها أن تريّح بعلها، وأن يشمّ منها الرائحة الطيبة لا الخبيثة، حتى لو كان مدخناً، وحتى لو أذن لها بالتدخين، ألاّ تدخن؛ لما ذكرنا من أسباب.

ومن الذي يعاشر امرأة تدخن؛ إلا رجل قد خرج عن فطرته، وانحرف في طباعه ودينه وخُلقه.

وإنما يأذن الزوج لامرأته بالتدخين لتكون رائحتها منتنة، حيث أنه مدمن على التدخين، فيريد أن تكون مثله، حتى لا تشكو من رائحته، وإلا فالرجل المستقيم لا يستطيع أن يعاشر امرأة ريحها منتن.

فإذا كان الدخان مضار بالصحة، فيكون له تأثير غير مباشرة بالنسبة للمرأة الحامل على الجنين، والمرأة التي تدخن قد أضرت بجنينها بدون ذنب منه،

والله سبحانه وتعالى يقول ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا)) [1]

نسأل الله أن يصلح شأن المسلمين وأن يلهمهم رشدهم ويقيهم شرور أنفسهم وأهوائهم وسيئات أعمالهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين

(١) سورة الأحزاب آية:٥٨.

المؤتمر الإسلامي الثاني للدعوة الإسلامية

الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم نائب رئيس المحاكم الشرعية بالمدينة المنورة وإمام وخطيب المسجد النبوي الشريف:

كان عضواً فاعلاً في هذا المؤتمر وكانت هذه المشاركة الصحفية[١]

الواقع أن المؤتمر اجتماع طائفة من أهل الشأن وذوي الاختصاص للتشاور في أمرٍ ذي بال من أمور المسلمين، وهذا مبدأ من مبادىء الشريعة الإسلامية، وهو مبدأ الشورى والتعاون على البر والتقوى كما قال سبحانه ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ))[٢] وكما أثنى الله على المؤمنين ((وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ))[٣] والرب تبارك وتعالى أمر نبيه أن يشاور أصحابه في بعض الأمور، وخاصة الهامة: مثل الحروب كما قال تعالى ((وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ))[٤] ولاشك أن واقع المسلمين الآن يستدعي الاهتمام؛

---

(١) مقالة كتبها الشيخ ونشرتها رسالة المعهد الصحيفة الدورية التي تصدر عن المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت عنوان من داخل المؤتمر في شهر ربيع الأول من عام ١٤٠٤هـ، وقام الإعداد والنشر الأستاذ محمد النهاري.
(٢) سورة المائدة آية:٢.
(٣) سورة الشورى آية:٣٨.
(٤) سورة آل عمران:١٥٩.

لأن الاسلام أصبح محاصراً من كل الجهات الأربع، الطوائف المعادية للإسلام قد نشطت وقويت دعوتها، ومضى على المسلمين حقبة من الزمن في ركود والدعوة الإسلامية، كانت راكدة ولما حصل ولله الحمد هذه الصحوة الإسلامية؛ فإنه يتعين على المسلمين أن يعقدوا المؤتمرات للتشاور في شأن ما ينفع المسلمين والاسلام في أمور الدين والدنيا .

ولقد كان لهذه المؤتمرات نتائج وثمرات طيبة منها المؤتمر الذي عقد في شهر صفر ٢٤-٢٩من عام ١٣٩٨هـ في الجامعة الاسلامية.

فكان لهذا المؤتمر منافع طيبة وصدرت منه توصيات جيدة، إلا أن التوصيات تتوقف الاستفادة منها على تنفيذها، فإذا نُفذت حصل الخير الكثير، أو حتى إذا نُفذ بعضها كذلك يحصل الشيء الكثير إن شاء الله تعالى.

والمملكة العربية السعودية ولله الحمد هي الدولة المسلمة التي تدعو إلى الإسلام، وتجاهد في سبيل الله، وقد بذلت جميع إمكاناتها للدعوة إلى الله وإلى كتاب الله.

ويواصل الشيخ عبدالله بن زاحم حديثه قائلا:

المؤتمرات تهدف إلى دراسة أوضاع المسلمين الراهنة، والتماس الحلول المناسبة لتنشيط الاسلام في نفوس المسلمين، وتقوية الروابط بين الشعوب الإسلامية، واتخاذ الحلول المناسبة لنشر الدعوة الاسلامية في الأقطار الاخرى ،كما هو

واجب على كل مسلم أن يكون داعياً إلى الله تعالى؛ لأن هذه أمانة في أعناق المسلمين لابد أن يؤدوا هذه الأمانة؛ لأن كل مسلم عليه واجب أن يبلغ رسالة الله إلى خلقه، فالرسل إنما أرسلوا لكي يبلغوا الناس والعلماء من بعد الأنبياء هم الورثة يرثون ما جاء به الأنبياء من الرسالات، فالواجب على العلماء هو تبليغ رسالة الله إلى عباد الله لتقوم الحجة ((وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) (١).

فالمؤتمرات الاسلامية تهدف إلى هذه الغاية وإلى هذه المقاصد التي هي من لوازم الاسلام.

وقال الشيخ عبد الله بن زاحم عن المعهد العالي للدعوة الاسلامية في المدينة المنورة.

المعهد العالي للدعوة الإسلامية في المدينة المنورة: ولله الحمد له ثمار طيبة ونتائج حسنة وله ذِكْر جيد عند الجميع، والآمال تتعلق فيه أن يكون له نشاط للدعوة في داخل المملكة وخارجها، وأن الله تعالى يهدي به كثيرا من الناس.

---

(١) سورة البقرة آية:١٤٣.

والواقع أن جامعة الامام محمد بن سعود – لا أقول هذا لأنني كنت من خريجيها – ما في شك إني كنت من خريجيها ومن أبنائها – ولكن أقول إنها تُشكر على تأسيس هذا المعهد الذي هو الدعوة الاسلامية.

والمناهج التي تدرّس فيه: الواقع أنها مناهج على مستوى عالٍ جداً فقد أجتمعتُ بكثير من الإخوان طلاب العلم الذين يدرسون بالمعهد العالي للدعوة الاسلامية.

فوجدت أن عندهم مناهج عِلمٍ ليس فقط دراسة لأجل الشهادة، بل للعلم. والأمل كبير، وإن شاء الله تعالى سيتخرّج منه علماء يفهمون طرق الدعوة وأساليبها، وسيكون لهم نشاطات في داخل المملكة وخارجها ويهدي الله بهم كثيرا من خلق الله. وصلى الله على نبينا محمد وعلى أله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

حادثة الحرم المكي[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن الله تعالى قد أنعم على هذه البلاد؛ بنعم كثيرة: هي محسودة عليها. منها نعمة الإسلام والتي هي أعظم النعم وأجلها، وهي منّة من الله لعباده المؤمنين.

ومنها نعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الرخاء.

فالحمد لله الذي جعل بلادنا آمنة مطمئنة، يجبى إليها ثمرات كل شيء، رزقا من الله، فيها أول بيت وضع للناس، فيه البركة والهدى، فيه الأمن والأمان. نحمد الله على نعمه التي لا تحصى.

ولكن النفوس الشريرة التي لا تعرف لنِعم الله حقّها ولا تعطيها شكرها قد استحوذ عليها الشيطان، سوّل لهم وأملا لهم، فخرجت على الدين الحنيف،

---

(١) حديث أعده الشيخ عبدالله بن زاحم إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف؛ للإذاعة السعودية بتاريخ ١٤٠٠/١/٩هـ تتحدث عن حادثة الحرم المكي الشريف التي وقعت بتاريخ ١٤٠٠/١/١هـ

والمقدسات الإسلامية؛ اعتدت على بيت الله الحرام وعلى حجاج بيت الله، وعلى الآمنين في حرم الله، على أفضل بقعة في الأرض، بلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)) [1] وقال صلى الله عليه وسلم {إن الله حرم مكة فلم تحلّ لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار، لا تُختلى خلاها ولا تُلتقط لقطتها إلا لمعرف}[2].

ولكن الفئة الماردة التي أحدثت في بيت الله الحرام قتلت الأبرياء وأرهبت الآمنين وأغلقوا أبواب المسجد، هذه الفئة لم تُبال بهذه القيم الإسلامية ولا بهذه الحدود الشرعية، اعتدت على البيت الحرام في الشهر الحرام، وعلى حجاج بيت الله الحرام، وخرجت على أمة تحكم بما أنزل الله تقيم شعائر الإسلام.

---

(١) سورة آل عمران آية:٩٧.
(٢) رواه البخاري في صحيحه: رقم (١٧٤٩)

أعمال شنيعة لا تصدر من إنسان في قلبه إيمان، ولا من إنسان في قلبه رحمة وإحساس بحقوق الإنسان، ولا من إنسان عنده شعور وطني، إنما هي فئة ماردة خارجة على الدين الإسلامي وعلى حدود الله، استحوذ عليهم الشيطان ((أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)) [1].

وإذا تأملنا الأعمال الشنيعة التي قامت بها هذه الفئة وجدناها أعمالاً عدوانية متعددة وظلمات بعضها فوق بعض؛ قد عالجها القرآن الكريم والسنة المطهرة:

أولاً: أنهم قتلوا المسلمين في حرم الله وفي شهر حرام؛ فوجب على المسلمين قتالهم ودفع شرهم. قال تعالى ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ

(١) سورة المجادلة آية:١٩.

وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (١).

ثانيا: إن هذه الفئة شقّت عصى المسلمين وخرجت على الطاعة، وذلك محرم بنص كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ((يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من أطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني} (٣)

(١) سورة البقرة آية:١٩٠-١٩٤.
(٢) سورة النساء آية:٥٩.
(٣) صحيح البخاري: رقم (٢٩٥٧)، صحيح مسلم: رقم (١٨٣٥).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من كره من أميره شيئا فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية}[1]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية} رواه مسلم وفي رواية له { من مات وهو مفارق للجماعة فأنه يموت ميتة جاهلية}[2]

ثالثاً: إن هذه الفئة ألْحَدت في حرم الله تعالى، والله سبحانه يقول ((وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم)) [3]

رابعاً: منعوا المسلمين من الصلاة في بيت الله وفي ذلك يقول سبحانه ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: رقم (٧٠٥٣)، ومسلم في صحيحه: رقم (١٨٤٩).
(٢) صحيح مسلم: رقم (١٨٥١).
(٣) سورة الحج آية:٢٥.

مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) [1]

خامساً: قتلوا المسلمين في المسجد ظلماً وعدواناً بدون حق، والله تعالى يقول((وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا)) [2]

سادساً: أنهم آذوا المسلمين في الحرم وأرهبوهم، وذلك بهتان وإثم مبين، قال الله تعالى ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)) [3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: أبو القاسم صلى الله عليه وسلم من أشار إلى أخيه بحديدة فأن الملائكة تلعنه حتى ينتهي} رواه مسلم[4]. فكيف بمن يشير إليه بالسلاح والنار ويقتله بدون حكم شرعي.

---

(١) سورة البقرة آية:١١٤.
(٢) سورة النساء آية:٩٣.
(٣) سورة الأحزاب آية:٥٨.
(٤) صحيح مسلم: رقم (٢٦١٦).

سابعاً: قد أخافوا السبيل وقتلوا الأبرياء وخرجوا على أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وارتكبوا المناهي فهم محاربون لله ورسوله((إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) (١)

إنها فاجعة عظيمة مؤلمة محزنة ارتجّ لها العالم الإسلامي واستنكرها غير المسلمين، ولله تعالى في إرادته ومشيئته حِكم، ولا شكّ أن سبب ذلك هو المعاصي والتقصير في جانب الله من المسلمين، ليُنبه عباده إلى محاسبة أنفسهم والرجوع إلى تعاليم دينهم على الوجه الصحيح وفي جميع المرافق((مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)) (٢) ((وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)) (٣).

(١) سورة المائدة آية:٣٣.
(٢) سورة النساء آية:٧٩.
(٣) سورة الشورى آية:٣٠.

فيجب على المسلمين التعاون على البر والتقوى، ونصر دين الله وإعلاء كلمة الله ((إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ قْدَامَكُمْ))[١] ((إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ))[٢] ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ))[٣].

نسأل الله أن ينصر دينه وأن يعلي كلمته، وأن يعزّ الإسلام والمسلمين. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ودنيانا التي فيها معاشنا وآخرتنا التي إليها معادنا، اللهم ألف بين قلوب المسلمين واجمع شملهم ووحد كلمتهم وانصرهم على عدوك وعدوهم. اللهم من أراد المسلمين بسوء فأشغله في نفسه واجعل كيده في نحره. إنك على كل شيء قدير، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسن الى يوم الدين.

---

(١) سورة محمد آية:٧.
(٢) سورة آل عمران آية:١٦٠.
(٣) سورة المنافقون آية:٨.

انتهى ما حصلنا عليه من محاضرات ومقالات للشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم (رحمه الله تعالى) خطيب وإمام المسجد النبوي الشريف ورئيس محاكم منطقة المدينة المنورة.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية	٣
التفكر في ملكوت الله	٤
الناس فريقان	٩
الارتباط بالله وحده	١٥
الدين الإسلامي دين شامل	١٩
الهجرة النبوية الفاصل بين الحق والباطل	٢٨
مقدمات الهجرة	٣٥
صفة الهجرة	٤٢
الهجرة النبوية وأسبابها	٥٢
الهجرة النبوية	٦١
العام الهجري الجديد	٧٤
ارتباط الأحكام الشرعية بالتاريخ الهجري	٧٩
المدرسة الأولى	٨٢
تحويل القبلة	٩٨

صفة تغسيل الميت	١٠٥
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٠٨
التكافل الاجتماعي	١١٩
مشروعية الصيام	١٢٧
تتمة الصيام	١٤٠
فضل ليلة القدر	١٤٦
أعمال الحج ثلاثة أحاديث	١٥٦
الحديث الأول _ يوم عرفة	١٥٦
الحديث الثاني _ ليلة جمع	١٦٥
الحديث الثالث _ أيام منى	١٧٣
التجارة في الإسلام	١٨١
تسهيل المهور	٢٠٥
زواج العفيفة بغير العفيف	٢١٢
حكم الزاني	٢١٩
من أحكام سورة النور	٢٢٥
حكم القذف	٢٣١
حديث عن الظلم	٢٣٨

المواطن الصالح ٢٤٢
عن كلمة خادم الحرمين الشريفين ٢٥٥
الحاجة إلى الشريعة الإسلامية ٢٥٨
تدخين المرأة ٢٦١
المؤتمر الإسلامي الثاني للدعوة الإسلامية ٢٦٥
حادثة الحرم المكي ٢٦٩
فهرس الموضوعات ٢٧٨